نساء

من ذاكرة التاريخ

محمد حامد

دار ومكتبة الهلال

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

نساء من ذاكرة التاريخ

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى
2006/8/1م

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

نساء من ذاكرة التاريخ

تأليف

محمد حامد

دار ومكتبة الهلال
بيروت

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
الطبعة الأولى

ISBN 9953-75-254-0

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر
جادة هادي نصر الله -بناية برج الضاحية-ملك دار ومكتبة الهلال
تلفون: 540891 1 961 00 فاكس: 540892 1 961 00
ص.ب: 15/5003 الرمز البريدي 2010-1101 البسطا-بيروت لبنان
http:\\www.darelhilal.com E-mail:info@darelhilal.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران/ 102] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء/ 1] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ 70 – 71].

ثم أما بعد. . .

فلقد طلّ علينا في هذه الأوقات رؤوس جُهّال تطاولت على شريعة الإسلام، ونالت من ثوابته، تعمل ليل نهار على نسف قواعده وأُسه، وارتفعت الصيحات هنا وهناك مطالبين بإعطاء المرأة حقوقها التي سلبها الإسلام منها - هكذا يدّعون -؛ فبئست الدعوة تلك، وبئس الداعي من رفع لوائها، قاسمهم الأمين - ووالله ما هو بقاسم ولا بأمين - فأي حقوق سُلبتْ منها؟! وهي العزيزة، المكرمة، أمًا وبنتًا وأختًا.

من هنا نقدم هذه الصفحات المشرقة من حياة نساءٍ رائداتٍ، سطّر التاريخ أعمالهم على مرّ الزمن، وبُعد الشُّقة بينهن، حفرت بأعمالها وأخذت مكانها في التاريخ وخلد ذكرها بتلك الأعمال الرائدة، التي يعجز عن تحقيقها بعض رجالات هذا الزمان.

فجاء هذا الكتاب (نساء من ذاكرة التاريخ) لَبِنة في تعزيز مكانة المرأة، وبيان سموها، وعلو كعبها، نستقرأ به أعمالهن وفضلهن، وما نالت ذلك إلا بالتمسك بشرائع الدين الحنيف.

هذا وقد جاء الكتاب على النحو الذي بين يديك غير معتبر بترتيب تاريخي ولا بفترة زمنية محددة، إذ القصد منه ليس التأريخ، بل العبرة والعظة وشيء من أخبارهن.

والله الموفق

محمد حامد

أول معلمة في الإسلام..
الشفاء بنت عبد الله[1]

من غار حراء شعّ فجر الإسلام... يملأ مكة وشعابها بنور الله... فيفيض إشراقاً في العقول ويمنح للقلوب المؤمنة ضياء لتنسج به عظمة الإسلام.. فكم رفع الإسلام أناساً لم نسمع عنهم من قبل... وكم زاد الإسلام من مكانه أناس فأضحوا خياراً في الجاهلية وخياراً في الإسلام.. لم يفرق بينهم نساءً ورجالاً.. هكذا كانت الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن شداد القرشية العدوية.. قيل اسمها ليلى وكانت تكنى بأم سليمان.. ولكنها اشتهرت بالشفاء وربما نالت هذا اللقب بسبب شفاء البعض على يديها بإذن الله.

تزوجت الشفاء بنت عبد الله من أبي خثمة بن حذيفة بن عامر القرشي العدوي.. واعتنقت الإسلام في وقت مبكر من بزوغ شمسه.. فصبرت مع المسلمين الأوائل وتحملت أذى قريش وتعنتهم حتى أذن المولى عز وجل للصابرين والصابرات في مكة بالهجرة إلى يثرب فهاجرت معهم.

كانت الشفاء بنت عبد الله العدوية من القلائل الذين عرفوا القراءة والكتابة

(1) راجع الإصابة (11373) ونساء يضرب بهن المثل لمنصور بن ناصر العواجي : ص84.

في الجاهلية وقد حباها الله من فضله عقلاً راجحاً وعلماً نافعاً. . فقد كانت تجيد الرقية منذ الجاهلية. . فلما جاء الإسلام قالت: لا أرقي حتى أستأذن رسول الله ﷺ فحضرت إليه وقالت: يا رسول الله إني قد كنت أرقي برقي الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك، فقال: اعرضيها، قالت: فعرضتها عليه وكانت ترقي من النَّمِلة [النملة نوع من التقرحات تصيب الجلد] فقال: (ارقي بها وعلميها حفصة: باسم الله، اللهم اكشف البأس رب الناس)، قال: (ترقي به على عود كركم - زعفران- وتطليه على النملة). . فاستمرت الشفاء ترقي بها المرضى من المسلمين والمسلمات وعلمتها لأم المؤمنين حفصة. . ويلاحظ هنا أن الشفاء رغم علمها القديم الذي أجادته قبل الإسلام لم تحاول الإفادة منه إلا بعد أن عرفت حكم الشرع فيه. . فلما أجازها النبي ﷺ خدمت به الناس. . ولم تكتف بهذا بل علمت نساء المسلمين القراءة والكتابة فحق لها أن تكون أول معلمة في الإسلام.

لم تترك لنا كتب التراجم من أخبار الشفاء بنت عبد الله إلا النذر اليسير. . إذ وصفها ابن حجر في الإصابة بأنها من عقلاء النساء وفضلاهن. . وكان عليه الصلاة والسلام يبر بها فأقطعها داراً في الحكاكين بالمدينة لتسكنها.

وقد كان عمر بن الخطاب (رض) يثق برأيها ويقدم كلامها على غيرها حتى قيل إنه ولاها من أمر السوق شيئاً، ولم تذكر لنا كتب الأخبار ما المهام التي قامت بها الشفاء بنت عبد الله في السوق إلا ما رواه ابن سعد في طبقاته عن حفيدها عمر بن سليمان بن أبي خثمة، عن أبيه قال: قالت الشفاء ابنة عبد الله: ورأيت فتياناً يقصدون في المشي يتكلون رويداً فقالت: ما هذا؟ فقالوا: نسّاك، فقالت: كان عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناس حقاً. . ويتضح لنا من كلام الشفاء بنت عبد الله السابق الذكر أن

هذا جزء من مهام الحسبة التي قامت بها ولكنها، كما هو وارد في القصة، لم تخاطب جماعة الفتيان مباشرة إنما قالت كلامها لمن هم معها.

وربما كانت مهمتها أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يخص النساء، وربما مراقبة تعليم الصبيان على اعتبار أن تلك المهام من أعمال المحتسب في الإسلام، والله أعلم.

روت الشفاء بنت عبد الله عن رسول الله ﷺ وعن عمر بن الخطاب، وروى عنها ابنها سليمان بن أبي خثمة وآخرون من أحفادها، وقد أخرج لها البخاري في كتاب الأدب وكتاب أفعال العباد كما أخرج لها أبو داود والنسائي.

توفيت معلمة الإسلام الأولى في زمن عمر بن الخطاب سنة عشرين بعد هجرة النبي ﷺ، فجزاها الله عن المسلمين والمسلمات خير الجزاء بما خدمت به الأمة ورقت مرضاها وعلمت نساءها.

حارسة القرآن(1)

تعالوا نستلُّ سيف الحق مع أولئك الصادقين... نقارع معهم أهل الردة في حرب ضروس رفعت راية الإسلام خفاقة بعد أن عادت أشواك الوثنية لتبتلع ضعاف النفوس من أعراب الجزيرة.

تعالوا نشد من أزر البواسل المسلمة التي تهافتت على حديقة الموت تريد مسيلمة الكذاب وأتباعه.. تحاصره بأفئدة تواقة للشهادة.. يتقدمهم حفظة كتاب الله بقلوبهم المفعمة يرجون لقاء ربهم الباري ونبيهم الهادي.. صدورهم مشرعة لا يرهبها الوغى ولا يخيفها المنون... يحلمون بالقضاء على شوكة الكفر التي ظهرت بعد وفاة نبي الأمة عليه الصلاة والسلام لتحصد هذه المعركة عدداً كبيراً منهم... فتعود بعدها شمس الإسلام مشرقة في أنحاء الجزيرة العربية تضيء القلوب المعتمة بنور الحق بعد أن غطاها ثوب الوثنية ردحاً من الزمن.

حتى إذا انقشعت الغمة... وهدأ نقع المعارك... اعتلى الخوف القلوب المؤمنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتهم الفاروق عمر الذي نظر إلى استشهاد حفظة القرآن الكريم بتساؤل وجل:

---

(1) انظر: طبقات ابن سعد (8/ 81)، المستدرك (4/ 14)، الاستيعاب (4/ 1811)، أسد الغابة (7/ 65)، سير أعلام النبلاء (2/ 227)، الإصابة (4/ 273).

أيموت الحفظة والقرآن في معظمه محفوظ في صدورهم؟

ليعظم السؤال في نفسه حرصاً على مصير الدين والقرآن هو الدستور الأول للإسلام. فيتحرك بوجله الذي يحمله بين أضلعه على دين الله... تسوقه قدماه إلى أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحثه على جمع القرآن الكريم.. وما إن انشرح صدر الخليفة للفكرة حتى أوكل أمر هذه المهمة لزيد بن ثابت وجمعاً من الصحابة الكرام...

وما إن انتهى العمل المهيب ورفعت الأقلام وجفت الصحف وحفظ القرآن في كتاب واحد، رأى الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وضع المصحف عند سيدة من سيدات الدنيا والآخرة.

فمن هي هذه السيدة؟

إنها حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية القرشية.. ولدت قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام بخمس سنين.. كانت زوجة لخنيس بن حذافة السهمي.. هاجرت معه إلى المدينة، وشهد زوجها بدراً ثم استشهد متأثراً بجراحه.. وهي لم تتجاوز بعد الثامنة عشر ربيعاً، فحزن عمر بن الخطاب لمصابها وأراد أن يزوجها ممن يرضى الله ورسوله عنه.. فعرضها على عثمان وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج عثمان قد توفيت حديثاً فسكت عثمان ولم يجب عمر.. فعرضها عمر على أبي بكر الصديق فسكت أبا بكر كما سكت عثمان من قبله.. الأمر الذي أغضب عمر فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو له ما جرى ولم يكن يدري أن الله عز وجل اختار لحفصة من هو خير من عثمان وأبي بكر لتصبح زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأماً للمؤمنين.

عاشت حفصة بنت عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة طبيعية كانت خلالها الزوجة التي تحب وتكره.. تغار وتشتكي.. تغضب وتسأل وتجادل.. وقد اختارت من بين أمهات المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق لتكون صديقتها وموضع سرها حتى أن السيدة عائشة وصفتها بأنها بنت أبيها كدليل على فضلها.

وقد تركت لنا كتب السيرة عن حياتها وقصصها مع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير.. لكنها كانت في كل خطاها ممسكة بزمام أهوائها.. قد تخطئ في بعض أمرها، وهذا حال المؤمن لكنها تكون خير التوابين.. فلم توكل نفسها للحظة تنال بها غضب الله بل كانت كما قال عنها جبريل عليه السلام للنبي عليه الصلاة والسلام: إنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

روت حفصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة قيل إنها بلغت ستون حديثاً.

هذه الصوامة القوامة حفصة بنت عمر أم المؤمنين التي عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة السبع سنوات تزداد إشراقاً مع الأيام حين اختيرت من أجلاء الصحابة لتكون حارسة القرآن الكريم.

فأي شرف يعطيه الإسلام للمرأة المسلمة حين تكون حارسة للقرآن الكريم في عصر تكاثرت فيه النجوم الزاخرة في سماء الأمة الإسلامية.

هذا هو إسلامنا دين العظمة... دين الحقوق.. الدين الذي أعطى للمرأة مكانتها فكانت حاضنة الإسلام الأولى هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.. وها هي حارسة القرآن الأولى حفصة بنت عمر فجزها الله عن الإسلام والمسلمين كل الخير.

صفية بنت عبد المطلب[1]

معاول الإيمان تدكّ الأرض.. فيعلو الغبار ملامساً سقف السماء.. الأصوات تشدو بترتيل نداء الحق فتزيد السواعد الشامخة حماسةً لحفر خندق الدفاع... لا أحد يختبئ في منزله..

الكل مجتمع اليوم لتلبية النداء..تمتزج سواعد الشيوخ بالأطفال بالنساء في عمل دؤوب... تتخلله معجزات يرددها النبي عليه الصلاة والسلام لتشعل في القلوب المؤمنة مزيداً من الحماسة والإقدام... حتى إذا ما انتهى الجمع من حفر الخندق وجاءت العرب تقودها قريش في عشرة آلاف فارس وقفت جامدة متصلبة... وقد فغر الصناديد أفواههم جزعاً لمشهد الخندق.... ورانت ببصرها نحو يثرب التي كانت مرمى أحلامهم للقضاء عليها وعلى الدين الجديد... لتسقط مخططات بني النضير وزعيمهم حيي بن أخطب في أعماق الخندق تحت أقدام النبي عليه السلام وأصحابه...

خلف كثبان رمال الأرض المحفورة تجمعت سيوف المؤمنين في ثلاثة آلاف ممن بايعوا الله على النصر أو الشهادة... ومن خلف اللظى جماعة اليهود من بني قريظة تختبئ في حصونها منتظرة الفرصة للغدر بالمؤمنين كذئب

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (2/ 270)، تاريخ الإسلام (2/ 221)، والبداية والنهاية (7/ 104).

شرس يعشق امتصاص دماء أهل التوحيد. . . رغبة في بعثرة حلم العرب بالمنعة والقوة تحت ظلال الإسلام. . . وحسداً من أنفسهم على أمة جعل الله خاتم أنبيائه من بين ظهرانيها. . . وحقداً على نبي الله كسابق حقدهم على أنبياء من ظهرانيهم. . . فقتلوهم أو كذبوهم أو ألبسوا الحق بالباطل عبر كتب زوروها. . . . يشترون بها عرض الكفر بالإيمان الذي طالما عرفوه واجتنبوه. . . هكذا هم منذ عَهِدَهم التاريخ. . وفضحهم القرآن الكريم.

حين علم النبي صلى الله عليه وسلم بنقض بني قريظة للعهد أوجس في نفسه خيفة على نساء المسلمين وأطفالهم فجمعهن في حصن فارع وكان هذا الحصن لحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وقلوب الثلاثة آلاف مؤمن تختنق وجلاً ليس من عدو أمامهم بل من خنجر الغدر المسلّط على ظهورهم الذي ينتظر الفرصة لتحقيق مآرب كفار قريش ومن والاهم من غطفان ويهود بني قريظة. . . فأرسلوا أحد رجالهم ليستطلع أحوال حصن فارع ويزودهم بالأخبار أملاً في ألاّ يجدوا أحداً من الرجال يدافعون عن الحصن فينقضوا على من فيه من النساء والصبيان المسلمين.

كانت صفية بنت عبد المطلب ـ عمة رسول الله من أوائل النساء اللواتي اعتنقن الإسلام ـ قد لمحت قدوم اليهودي يطوف حول الحصن فاستدركت الأمر وفهمت بذكائها وعقلها الوافر مآرب يهود بني قريظة من هذا الطواف. . . واستشعرت بقلب المرأة المؤمنة مكمن الخطر قبل حدوثه. . تقول رضي الله عنها في هذه الحادثة: (مر بنا رجل من يهود، فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نحور أعدائهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، فاحتجزتُ ـ أي شددت

معجري ـ؛ ثم أخذتُ عموداً، ثم نزلتُ من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته) هذا ما فعلته سيدة بني عبد المطلب حين ظهرت الحاجة لقوة المرأة في الساعات العصيبة لتسد الثغرات التي لا يسدها الرجال... فتتسربل بدرع القوة حين تحتاجها الأمة في الدفاع عن أرضها حين يقتحم العدو دارها...

إن ما فعلته صفية بنت عبد المطلب كان رسالة لبني قريظة حين ارتد إليهم قتيلهم... مرادها أن محمدًا ترك في حصن فارع جموعاً من الرجال يدافعون عن النساء والصبيان... ولم يكن أولئك الرجال سوى صفية بنت عبد المطلب!!!

امرأة أرهبت يهود بني قريظة فأعادتهم بخفي حنين... فما بالنا لو اجتمع عشر من نساء الأمة لهنّ قلب صفية وشجاعة صفية وحكمة صفية فكيف سنكون يا معشر نساء المسلمين؟

الأمة اليوم تحتاج لشحذ همة الكبير والصغير.. النساء والرجال... لنقف صفاً واحداً عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: 71].

لم يكن هذا الموقف البطولي لصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المواقف الباسلة لها.. إذ نراها في غزوة أحد وقد أصاب المسلمون الجزع لما فعلته النسوة القرشيات بأسد الله حمزة بن عبد المطلب من تشويه وتمثيل حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من الزبير ابن صفية أن يمنع أمه من رؤية أخيها خوفاً على مشاعرها.... فلقيها الزبير قبل أن تصل إلى حمزة وقال لها: (يا أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أن قد مُثِل بأخي وذلك في الله، فما أرضانا

بما كان من ذلك!! لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله) فلما أتته نظرت إليه محتسبة صابرة لا تبالي بتمثيل أو تشويه.. ثم صلت عليه واسترجعت له ـ أي قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ واستغفرت له ثم رجعت بيقين الجنة حين يشتم المؤمن ريحها قبل الممات لا يعبأ بما يصيب الجسد الفاني من ضرٍّ جاء في مرضاة الله... فينتزع بشعور المؤمن كل فزع وكل جزع يصيبه، وهكذا يكون الإيمان.

رحم الله صفية بنت عبد المطلب المرأة القوية الصابرة، وجزى الله عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفها ودفاعها عن الأمة وقت المحن كل خير.

زبيدة الخير[1]

من رصافة بغداد.. عاصمة أعرق حضارة سطّرت بأناملها على قصر الخلد أمجاد الإسلام.. وهارون الرشيد يمشي بين الحدائق الغنّاء... يمازح الغيمة المارة في السماء قائلاً: أمطري أنى شئت فإن خراجك سيأتيني ولو بعد حين... فتضحك زبيدة واثقة من قوة سيف الحق على جبروت الباطل، وقد أتحفها الرشيد بتأديب أباطرة الروم وإجبارهم على دفع الجزية مضاعفة... لتقف حامدة لله شاكرة عطاءه بأن منّ عليها أن عاشت في عصر العظماء.. فكانت منهم ولا تقل شأناً عنهم.. من هناك نكتب لكم...

بين أرجاء قصر الخلد عاشت زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية.. فتزوجت من ابن عمها هارون الرشيد وأنجبت له الأمين الخليفة الهاشمي الوحيد في بني العباس..

كانت لزبيدة أم الأمين حظوة قلّ أن تنالها امرأة عبر العصور... فقد نعمت بعيشة الأميرات المدللات بين كنف جدها المنصور وعمّها المهدي، ثم زوجها هارون الرشيد فأعطتها الدنيا ما نقشته كتب التاريخ بماء الذهب تحكي عن حياة أسطورية كأنها من حكايا ألف ليلة وليلة...

---

(1) انظر : وفيات الأعيان (2/ 314)، صفحات نيرات من حياة السابقات : ص165.

إلى جانب هذا الترف كانت زبيدة زوجة الخليفة مثقفة واعية تنهل من معين العلم كما نهل المسلمون من نهر دجلة... ويُروى عنها أنها كانت شاعرة... فكثيراً ما بعثت لزوجها الرشيد برسائلها في أبيات من الشعر... بل إنها استخدمت هذه الطريقة الأدبية الجميلة في معظم مراسلاتها التي حفظتها كتب التاريخ، فقد أرسلت للخليفة المأمون رسالة بعد مقتل ابنها الأمين تدل على رقي كعبها ومقامها في السياسة والكياسة والأدب والشعر جاء فيها...

«أهنئك بخلافة قد هنأت بها نفسي عنك قبل أن أراك... ولئن كنتُ قد فقدتُ ابناً خليفة.. فقد عُوضتُ عنه ابناً خليفةً لم ألده... وما خسر من استعاض الملك مثلك.. ولا ثكلتك أم ملأت يدها منك... وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوّض ثم أنشدت تقول...

لخير إمام قام من خير عنصر وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر
ووارث علم الأولين وفخرهم وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها إليك ابن عمي مع جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابةً ومَنْ زال عن كبدي فقل تصبري

عرفت زبيدة الحياة بحلوها وطيب متاعها فنالت منها ما شاءت... وعلمت حق ربها وأهوال آخرتها، فعملت لها بقدر ما خافت... إذ يروى أنها كانت فقيهة عابدة، وكان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن.. وكان يُسمع لهن دويٌّ كدوي النحل... وقد جعلت زبيدة لكل منهن ورداً يومياً بقراءة عُشر القرآن.

تمتعت زبيدة بقسط وافر من الهيبة والكلمة المسموعة في الدولة العباسية

فسخّرت تلك المكانة لأعمال البر وأسبغت عليها من الإنفاق ما سابقت به أكابر الرجال..

يروى أنها حجت ذات مرة إلى بيت الله الحرام ولمست وهي في أبهة موكبها ما يلاقيه الحجاج وأهل مكة من المشاق في الحصول على ماء الشرب.. فدعت خازن مالها وأمرته أن يدعو المهندسين والعمال من أنحاء البلاد وقالت له: اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً.. فوفد على مكة أكفأ المهندسين والعمال، ووصلوا بين منابع الماء من حنين حتى مكة بمسيرة عشرة كيلومترات حتى فاض الماء يحمل معه اسم زبيدة في صدقة جارية تجاوز عمرها الآن مئات السنين.. تحمل الخير لحجاج بيت الله الحرام والحسنات الدائمة لزبيدة صاحبة هذا المشروع العظيم الذي بلغت نفقاته في تقدير ذلك العصر مليوناً وسبعمائة ألف دينار..

كما أمرت بتمهيد الطريق الذي يصل بين العراق ومكة وحفرت له الآبار وشيدت له المنازل والدور بما يعرف باسم (درب زبيدة) وقد وصلت نفقات مشروعها في تلك الحجة أربعة وخمسين مليون درهم...

فما أجمل أن يصبح المال نعمة بين يدي صاحبه.. يحمل له الثواب إلى قبره في كل يوم، بل وفي كل لحظة.. لتبقى عبق الذكرى عطرة بين المسلمين إلى ما شاء الله لها أن تبقى.... وهكذا هي عين زبيدة...

نائلة بنت الفرافصة[1]
الوفيه لزوجها في حياته ومماته

في عصر تجلت فيه شمس الإسلام باسقة...تجوب الأصقاع وترافق الحشود المؤمنة لنشر دين الله... تضحك فرحة مستبشرة وهي ترى أشعتها ساطعة من برقة غرباً إلى سيحون شرقاً... والأصوات المجاهدة تنشد بالحق ليصل الصوت إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فتشمخ بعز من بارئها وسيف ذي النورين يقود أمة التوحيد...يزيدها وهجاً بنوره ومطايا الخير الذي حمله حين سقى المسلمين من بئر رومة وجهز جيش العسرة...

لكن هذه الشمس الشامخة غابت في أواخر عهده..حين اعترضتها غيوم سوداء أمطرت سجيلاً على الجموع المسلمة فاختلط الحابل بالنابل.. ولم تكن أعين اليهود بعيدة عن تلك الغيمة فقد كانوا ـ لعنهم الله ـ سبباً في إشعالها...حين حرك ابن سبأ خيوط المؤامرة من وراء الأستار ـ كعادتهم ـ وعاث في الجموع من وراء حجاب يبطن الشرّ ويظهر الولاء...حتى وصلت الغيوم السوداء إلى سماء مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتفرغ حمولتها في فتنة شعواء عصفت بأمة الإسلام ردحاً من الزمان....

(1) نساء يضرب بهن المثل لمنصور بن ناصر العواجي: ص76.

حاول ذو النورين رضي الله عنه منع غبار النقع الأسود من الالتفاف حول شمس الإسلام لكن جموع الغوغاء من ضعاف النفوس المحاصرين لداره أبت إلا صب النار على الهجير..

في دار عثمان بن عفان كانت تسكن امرأة من بني كلب. .أحد أشهر بطون العرب في الفصاحة والبلاغة.. ولم تكن فصاحة قومها تقتصر على رجالهم بل شملت نسائهم أيضاً.. خطبها عثمان رضي الله عنه فحملها أهلها له، وحين اجتمع بها رفع قلنسوته عن رأسه فظهر الصلع فيه فقال لها: يا بنت الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي ! فإن تحته ما تحبين. فأمسكت عن الكلام.. فبادرها بقوله: إما تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك.. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع، وأما قولك: إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك، فوالله إن ما تجشمته من قطع الصحراء الواسعة والسفر الطويل، لأبعد مما بيني وبينك، بل أقوم إليك.

فقامت وجلست إلى جواره. .فمسح على رأسها ودعا لها بالبركة، فبوركت بفضل من الله عز وجل.. فقد جعل كرم عثمان وحنانه في قلبها مودة ورحمة له.. تهبها المرأة المسلمة لزوجها حين يزرع الزوج نبتة الحب في قلبها..

أنجبت نائلة بنت الفرافصة لعثمان بنتاً وقيل بنتاً وولداً... وكانت له طيلة حياتها معه الزوجة المطيعة الحانية. .حتى وصل الطوفان إلى المدينة قادماً من البصرة والفسطاط.. يحمل معه آلافاً من الغوغاء الذين تأبطوا الشر بسيوفهم يريدون قتل الخليفة عثمان بن عفان... فحاصروا بيته ونائلة معه تشد من عزيمته وتؤنس وحدته. .حتى إذا خشي الرعاع من المحاصرين قدوم جيش من

الشام لإنقاذ الخليفة المحاصر.. قفزوا على داره لا يألون لبيته حرمة ولا لصحبته مكانة ولا لفضائله ذكراً في نفوسهم الآثمة فقرروا قتله وهو صائم يقرأ القرآن...عندها أرادت نائلة أن تمنع دخولهم إلى حرمة منزلها فنشرت شعرها ظناً منها أن في قلوبهم بضعاً من إيمان وغض طرف يصون عليهم دينهم....

لكن عثمان رضي الله عنه منعها في قوله لها: خذي خماركِ فلعمري لدخولهم عليّ أهون من حرمة شعرك...فلم يكن من نائلة وهي ترى السيوف تقترب من زوجها الحبيب إلا وضع يديها لتتقي السيف عن عثمان فقطع السيف أصابعها ومضى في بطن الخليفة الراشدي الثالث.. وزوجته تحاول صد السيوف عن جسده حتى قتل..

فخرجت نائلة تجمع شعث همومها في موكب دفنه عند أطراف البقيع حيث وري الثرى رضي الله عنه وأرضاه وكفاه ببطشه ما فعلته الغوغاء فيه.

لا أود الخوض في حديث الفتنة الكبرى هنا رغم أنها أم الفتن التي انهالت على أمة الإسلام حتى يومنا هذا ولكني أردت أن أبحث في موقف امرأة لم تكن من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ولكنها نهلت من معين أحد صحابته كزوجة لعثمان وحبيبة له...كانت بجانبه يوم شدته ودافعت عنه بجسدها حتى قطعت أصابعها..لأقف بكم أيها القراء الأعزاء أمام صورة لحب قلّ نظيره في زماننا بل ووفاء نادرٍ لزوج حبيب بقي خالداً في ذكرى نائلة بنت الفرافصة.. إذ بعد وفاة عثمان خطبها معاوية بن أبي سفيان فرفضته وقالت حين سئلت عن سبب رفضها قولاً شهيراً: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وإني خفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان وذلك مالا يكون أبداً..

فأين نحن من نائلة بنت الفرافصة تلميذة مدرسة عثمان بن عفان. .التي تعلمت فيها حب الزوج حين أحبها فوهبته حياتها حياً وميتاً. . ودافعت عنه بجسدها حين داهمه الخطر. .

لن أقول في قصة نائلة: أيتها المرأة المسلمة أحبي زوجك ليحبك !!!! ولكني سأوجه خطابي للرجل فأقول له: يا أيها الرجل أحبّ زوجتك لتحبك وتعطيك ماء عينيها. .

رحم الله عثمان بما أحب نائلة. . ورحم الله نائلة في إخلاصها لعثمان.

أسماء بنت عميس[1]

تباشير المجد تعانق سقف السماء حاملة عبير الفرح.. والقلوب المؤمنة تمتطي خيول العزّ مرتلة ومكبرة تغمرها نشوة النصر المبين... وخيبر تحطم أسوارها وأبراجها المنيعة بأيدي يهودها الخونة..

الذين ما فتئوا يحيكون المؤامرات ضد الإسلام وأهله.. فكان يوم خيبر إيذاناً بزوال قوتهم وإمعانا في تأديبهم على يد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأصدقهم وعده ومنحهم عزه ونصره... ليعود الجمع إلى طيبة الطيبة وقد امتلأت القلوب فرحاً، واستشعرت النفوس أمناً بقوة الإسلام..وإذا بنبي الله صلى الله عليه وسلم يلاقي جعفر وزوجته أسماء بنت عُميس ومن معهم من مهاجري الحبشة الذين طالما ذاقوا نار الغربة وفراق الأحبة.. لا يروي ظمأهم إلا ما أنعم الله عليهم من إسلام النجاشي وبعض أهل الحبشة الطيبين...

فكانت فرحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فرحتين أولهما بالنصر على يهود خيبر وثانيهما بعودة جعفر...لينعم المسلمون بعودة الغائبين واجتماع شمل الأحبة بعد فراق دام أكثر من عشر سنوات...

كانت أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب قد أسلمت قبل

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 283)، طبقات ابن سعد (8/ 281)، نساء الصحابه : ص254.

دخول النبي عليه الصلاة والسلام إلى دار الأرقم... فقدمت نموذجاً للمرأة المؤمنة المهاجرة الصابرة على بعد الأحبة رغبةً في مرضاة الله ورسوله... ولكنها بعد عودتها من الحبشة رغبت في زيارة حجرات أمهات المؤمنين لتنهل من معين النبوة باشتياق الظمآن إلى الماء العذب...

فحدث أن زارت أسماء دار أم المؤمنين حفصة بنت عمر..... فلقيها عمر بن الخطاب هناك...

فقال لها مداعباً. آلحبشية هذه. آلبحرية هذه !!!!

فردت أسماء: نعم...

فقال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم... لتسقط كلماته على نفسها سقوط السهم على قلب أغض.. وهي تعلم ما لقيه المهاجرون في الحبشة من صعوبات وغربة وحنين للوطن وألم وخوف لم يعلم به غير الله سبحانه وتعالى... حتى أن كُتب التاريخ لم توله اهتماما بالغاً كما أولت حال المسلمين في مكة والمدينة...

لم تطق أسماء بنت عُميس أن يُظن في مهاجري الحبشة أنهم أقل حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهي تسمع هذه الكلمات من الفاروق عمر صاحب الحق وعدو الباطل دون سواه... فغضبت لا تبالي بعمر ولا بسواه.. جاعلةً سنوات الغربة منظاراً أمام عينيها وأيام الفراق تسكن آهات قلبها بكل ما حملت من غضاضة وزفرات....

فردت عليه وقد تملكها الغضب: كلا والله... كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنّا في دار البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسول الله وأيمُ الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول

الله. . . لتصمت الكلمات في جوف عمر وهو يرى صوت الحق يعلو في حروف أسماء مستعراً دفاعاً عن سنوات الغربة بالحبشة. . .

فلما جاء النبي عليه السلام قالت له: يا نبي الله إنّ عمر قال كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فما قلتِ؟. .قالت: قلت كذا وكذا. .قال: (ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم ـ أهل السفينة ـ هجرتان). . فعمت الفرحة قلوب العائدين من الحبشة بكلمات النبي عليه السلام وتهافتوا على دار أسماء بنت عُميس يسمعون منها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم. . .ودفاعها الصادق عن حقهم في وجه عمر. . . . ليسطّر التاريخ عن أسماء بنت عميس قولاً أصابت فيه المرأة وأخطأ عمر. .[من حديث البخاري رحمه الله تعالى].

وبعد شهور من عودة مهاجري الحبشة ينطلق جيش المسلمين ليؤدب الغساسنة الذين لم يراعوا حرمة سفراء النبي عليه السلام. . . فكانت غزوة الأمراء في مؤتة ضد جحافل الروم وأعوانهم من الغساسنة. . . . ليستشهد جعفر ابن أبي طالب زوج أسماء بنت عميس. . . وبعد انقضاء العدة تزوجت أسماء بنت عُميس من أبي بكر الصديق الذي عرف لها قدرها وقوة إيمانها فأكرمها أيما إكرام. .فأنجبت له محمد بن أبي بكر. . ثم مات عنها الصديق رضي الله عنه. . فتزوجت من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. . . فكان أن احتضن عليٌّ في داره أبناء أسماء من جعفر وابنها من أبي بكر. . . . . ويروى ذات مرة أن سمع علي حواراً حاداً بين محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر. . .كل منهما يقول لصاحبه: أنا أكرم منك وأبي خيرٌ من أبيك!!!

فطلب منها علي بن أبي طالب أن تحكم بينهما. . .فقالت لهما: ما رأيت

شاباً من العرب خيراً من جعفر وما رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر. . . . فقال لها علي بن أبي طالب: وماذا تركت لنا يا أسماء؟! . . . .لترد عليه بثبات المرأة حين يهبها الله قدرة الحديث وحسن الرد على الزوج (ثلاثة أنت شرّهم لأخيار) وتقصد أي أمرحهم وأسعدهم لأهل بيته. . .

كانت أسماء من الصحابيات الراويات لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قيل: إنها جمعت صحيفة بها ستين حديثاً من أقوال رسول الله عليه السلام، ويقول الدارقطني: إن مسلماً قد انفرد بالإخراج لها. .

هكذا كانت أسماء بنت عميس الصحابية العابدة العالمة. . . والمرأة القوية في الحق التي أسكتت عمر. . .والزوجة الصالحة التي عرفت حق جعفر وفضل أبي بكر وعظمة زوجها الثالث علي بن أبي طالب. . فحُق لها أن تكون محبوبة من أزواجها جميعاً. . وحريٌّ بنا أن نتعلم منها حسن الخطاب والمعاشرة وقوة الدفاع حين يستدعي الموقف رأي المرأة التي تصيب حين يخطئ الرجال. . رضي الله عن أسماء وأزواجها جميعاً وأرضاهم. . .

موضي بنت أبي وطبان[1]

ألف ومائة عام مضت على إشراقة نور الإسلام في جزيرة العرب حملت معها تعاليم خير أضاءت على البشرية جمعاء تنثر دفء وهجها على ملايين من البشر الموحدين لبارئهم والمصلين على نبيهم الهادي الأمين.. لكن هذه الشمس فقدت مع الأيام أرضاً أنجبتها فاعتلت الظلماء البطاح وبات الجهل معولاً يهدم أركان الدين وبدأت براثن الأصنام الموءودة ترفع رؤوسها الشيطانية في سماء جزيرة العرب.. واشرأبت أعناق الشرك حين زين الشيطان للإنسان سوء عمله.. فحلت البدعة مكان السنة، والجهل مكان العلم، وسادت الخرافات والمعتقدات الفاسدة أرضاً طالما استقبلت وحي السماء.. فتهافتت جموع الجهلاء سجداً للقبور تيمناً بقدرها.. ودانت الأعناق خضوعاً لشهوات النفوس الأمارة بالسوء لا تعبأ بدين ولا خلق.. فانتشر الفساد في أرجاء البلاد وعمت الفوضى نفوس العباد.. وبات حكام ذاك الزمان يتنافسون على وثائر السيادة لا يبالون بما حل على أرضهم الطاهرة.. ولا يقيمون وزناً لصلاح الدين بقدر ما يتحمسون دفاعاً عن عنجهية السيادة طمعاً في استعباد جموع الجهلاء.. فغدت المدارس ودور العلم عملة نادرة في عصر الجهل وفقر العقول.. فكان لا بد للحال من إصلاح يقوّم هذا الاعوجاج الذي تطاول على

(1) مجلة المنار، العدد 84.

أصول العقيدة لتعود الأمة من جديد إلى نور الإسلام فكانت دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب.

وقف الشيخ المصلح رافضاً لمظاهر الجهل راغباً في تجديد دماء الإسلام في نفوس المسلمين.. هادفاً إلى استبدال عتمة القلوب بصلاح النفوس.. لكن الحمقى من الجهلاء الذين خافوا على أنفسهم مغبة انقطاع سيادتهم عملوا على محاربة الدعوة بالتحريض تارة والتهديد بقتل الشيخ تارة أخرى.. مما اضطر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الانتقال من بلدة إلى أخرى أملاً في أن يهيئ الله لهذه الدعوة المباركة من يساندها من حكام المنطقة.. حتى وصلت به الطريق إلى الدرعية فنزل فيها متخفياً في دار أحد مناصريه ويدعى عبد الله بن سويلم.. الذي كتم أمره خوفاً من بطش أمير الدرعية محمد بن سعود ظناً منه أن الأمير سيقف حجراً عاثرة في وجه الدعوة كما فعل غيره من أمراء نجد.. لكن الشيخ استطاع إسكان هذا الخوف حين قال له: سيجعل الله لنا فرجاً ومخرجاً..

استمر تخفي الشيخ في دار ابن سويلم إلى ما شاء الله حتى بدأ نور هذه الدعوة ينتشر بين أرجاء الدرعية.. فأضحت دار ابن سويلم موئلاً لطلاب الحق يبحثون عنه من كل رمضاء نجد حتى وصلت الدعوة إلى مسامع قصر الأمير واعتنقها اثنان من إخوته هما مشاري وثنيان، بل إنها وصلت إلى مخدع الأمير حين اقتنعت بها زوجته موضي بنت أبي وطبان تلك السيدة التي كانت صاحبة دين وعقل ومعرفة.. إذ تنتمي إلى أسرة كريمة من آل كثير وهم فرع من آل فضل الذين كانوا يحكمون أجزاء من الجزيرة العربية في فترة القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الهجري.

تفتح قلب موضي لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. واستشعرت بفكرها الثاقب الخير الذي ستأتي به للجزيرة العربية.. فأخذت في نفسها قراراً أن تكلم زوجها الأمير في أمر الشيخ ليسانده في وقت هاب فيه الرجال من محاكاة الأمير بهذا الأمر...

حين أقبل الأمير محمد بن سعود على زوجته موضي وقفت أمامه تحدثه عن الشيخ بمنظور المرأة المحبة لله.. الواعية لظلماء الحاضر.. الراغبة في تجديد فجر المستقبل.. التي رأت الحق فثبتت عليه تبذل في سبيله الغالي والنفيس.. حين قالت لزوجها: هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به.. فانفرجت أسارير الزوج وغربت رياح الهموم من جوانب تفكيره.. وأسرع يقابل الشيخ في دار ابن سويلم سنة 1157هـ ليغير هذا اللقاء مجرى تاريخ جزيرة العرب ويقلب صفحة العتمة من حياتها ببدء دعوة إصلاحية يحمل أبناء الإمام محمد بن سعود لواء نشرها حتى يومنا هذا.

هذه هي موضي بنت أبي وطبان التي لم تكتب عنها صفحات التاريخ غير هذا الموقف.. رغم بساطته وصغره إلا أنه ساهم في صنع دولة قامت على إرساء التوحيد على أرض الجزيرة بعد سنوات طوال من الضباب.. هكذا تكون النساء حين يعانق القلب أعالي السماء.. يرجو ثواب الدنيا ونعيم الآخرة.. رحم الله موضي التي كانت يوماً واسطة العقد بين شيخ مجدد وأمير حمل راية نشر الدعوة على عاتقه وعاتق أسلافه.

المرأة المحاربة أم عمارة[1]

نسيبة بنت كعب بن عمرو، الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية المدنية. كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين، وكان أخوها عبد الرحمن من البكائين. شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت أحداً، والحديبية، وحنين.

كانت النساء المسلمات يراقبن المعركة.. تعلو وجوههن ابتسامة فرح بتباشير النصر التي انبثقت كفلق الصبح.. وهن يسعفن المصابين ويعالجن الجرحى ويسقين العطشى.. حتى إذا ما طغى غبار الهزيمة وأعتم الفجر من جلل الضباب.. ورأت النساء تراجع المسلمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستصرخ الهمم للثبات والصمود.. عند هذا الخطب الجلل هبت أم عمارة الطبيبة المداوية لتتحول في ثوان معدودة إلى جلمودة صخر تدافع عن النبي الكريم.. تتلقى عنه الطعنات وتجعل من نحرها درعاً تتكسر عليه السيوف..

لندع أم عمارة تخبرنا عن هذا الموقف الجلل: (خرجت أول النهار وأنا أنظر الناس ما تصنع.. ومعي سقاء فيه ماء.. فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين.. فلما انهزم المسلمون

---

(1) طبقات ابن سعد (8/414)، نزهة الفضلاء 1/146، «نسيبة بنت كعب المازنية» لمحمد حسن بريغش.

انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. . فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي بالقوس. . حتى خلصت الجراح إليّ. . فلما تولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قمئة وهو يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا. . فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. . فضربني ضربة غائرة لا تزال آثارها في عاتقي. . ولكنني ضربته والله على ذلك ضربات لكن عدو الله كانت عليه درعان).

هكذا تصدت أم عمارة لعدو الله تأخذ الطعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. . ليترك الطعن جرحاً غائراً تظل آثاره شاهدة على قلب امرأة شجاعة لا تعبأ بالجراح بل تستمر في الذود عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى تسقط فاقدة الوعي وسط بحر من الدماء والأوجاع مما لا يقوى عليه عتاة الرجال.

مع كل هذا أفاقت أم عمارة لا تهتم لجرحها بقدر خوفها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكون قد أصابه أذى. . لا تبالي بوهن الجسد، والروح تخفق في حب نبي الله.

ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة !!

وحدث ابنها عبد الله بن زيد فقال: جرحت يومئذ جرحاً، وجعل الدم لا يرقأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اعصب جرحك)، وكانت أم عمارة لاهية بقتال الأعداء، فلما سمعت نداء النبي صلى الله عليه وسلم أقبلت إلي ومعها عصائب في حقوها فربطت جرحي والنبي صلى الله عليه وسلم واقف فقالت لي أمي: انهض بني وضارب القوم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة !!).

في حمراء الأسد والجرح نهر دماء

حين نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين، ودعاهم للخروج إلى حمراء الأسد، ولم يمض على أحد إلا سويعات معدودة تحسباً من النبي صلى الله عليه وسلم أن تعود قريش لمهاجمة المدينة بعد أن لامست ضعف بعض المسلمين في أحد.. فهبت أم عمارة تجيب نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبالي بجرحها الغائر وآلامها المبرحة ونزيفها الذي لم يرقأ بعد!.. أي قوة صنعها الإسلام في قلب امرأة.. وأي تحمل يصل إلى قمة التضحية لأجل الله ورسوله.. لكننا لن نتعجب من هذا فنور الإسلام يصنع الأعاجيب في أتباعه.. حين يكون الصبر والتحمل لأجل شرف الأمة وعودة عزها ومجدها.

محنة الأم:

ثم تمضي الأيام بأم عمارة تأخذها من نصر إلى نصر.. وهي تنتقل معها من تضحية إلى أخرى بدءاً بروحها ثم جسدها فأبنائها.. كل ذلك لأجل الله وحباً في دينه.. فتزداد مع الأيام مكانتها بين نساء المسلمين يضرب بها المثل في دفاعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. والأيام تمضي بأم عمارة من محنة إلى محنة فآلام الجرح الذي أصابها يوم أحد لم تختلف آثاره عن جسدها ليكتوي قلبها بمحنة جديدة حين عاد ابنها من تجارته بأرض العراق ماراً بنجد.. وكان مسيلمة الكذاب قد خرج بدعوته التي أعمت بعض ضعاف النفوس ممن لم يفقهوا الإسلام بعد.. فقبض على ابنها وحبسه ليرغمه على الاعتراف بنبوته أمام جمع غفير من أعوانه.. لكن ابن أم عمارة لم يرضخ لمطالب هذا الكذّاب.. فعمد مسيلمة إلى قطع يديه ورجليه ثم ألقى به في النار أملاً في أن يرعب أتباعه فازدادوا يقيناً بدعوته

الآفكة.. فكانت حروب الردة.. وأم عمارة تخرج مع المسلمين تحمل بين طيات قلبها ناراً تأججت على ما فعله مسيلمة بابنها ويقيناً منها بأن هذا المتنبئ إنما جاء ليقضي على نور الحق الذي انتشر في أرجاء جزيرة العرب.

وفي يوم الحديقة التي اختبأ فيها مسيلمة مع جيشه صالت أم عمارة بين الصفوف تبتغي الوصول إليه.. فلما لقيته أقبلت عليه لتقتله لكن جموع الشرك من أتباعه قطعت يدها في صراع مرير لتخليص مسيلمة من أم عمارة.. لكن الله عز وجل أراد لأم عمارة أن تأخذ بثأرها من الكذاب الأشر حين نجح ابنها عبد الله في قتل مسيلمة.. ليعود نور الإسلام ساطعاً في جزيرة العرب لا تقدر قوى الشر على إطفائه.

وبعد يوم اليمامة دخلت أم عمارة مرحلة من الإعياء الذي رافقها من ويلات قطع يدها ترجو رحمة الله عز وجل حتى وافتها المنية.

وبعد...

هذه هي نسيبة بنت كعب المازنية.. المرأة المبايعة.. المجاهدة.. التي ربت أبناءها على الحق فصمدوا في وجه جحافل الباطل لا تأخذهم في الله لومة لائم.

أحبت أم عمارة الله.. وأقبلت على حب نبيه طمعاً في جنات الخلد.. سطرت بدماء عبقة هذا الحب في سجل الخالدات وببسالة فاقت بها أعاظم الرجال.. فأين نحن يا نساء المسلمين من هذه الشمس التي أشرقت على الإسلام في أيام المحن.. رضي الله عن أم عمارة التي قال عنها النبي عليه السلام: (ما التفت يمنة ولا يسرة إلا رأيتها).. وما أعظم النساء اللواتي أنجبتهن مدرسة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

أم المساكين[1]

ما أعظمك أيها الدين وما أعلى شأنك حينما أتيت إلى هذا العالم غيرت كل نسمة من نسمات الهواء، وأعدت ترتيب كل ذرة من ذرات الجسم فخرج الإنسان وكأنه مولود لأول وهلة في هذه الحياة.

فأصبح المرء عندما يتكلم فإنه يتكلم بكلام الله وعندما يرى فإنه يرى بنور الله وعندما يحب فإنه يحب لله وبالله وفي الله.

فالإيمان بالله يهون على الإنسان شهواته ومطالب دنياه فإذا هو يكتفي بما يسد جوعه من الطعام وما يستر عورته من اللباس، فإذا هو يرضى بالقليل من المال، وباليسير من المتاع وبالبسيط من الثياب، تكون الدنيا في يده وليست في قلبه يتمثل دعاء المصطفى عليه الصلاة والسلام (اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا).

ويصبح المرء يعد الأنفاس ويحسب الدقائق في منفعة يقدمها لخلق الله أو عملاً يتقرب به إلى الله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا

---

(1) الإصابة (4/ 309).

يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ [التوبة: 120، 121] .

فإليكم تلك الوردة العطرة من كانت أماً للمساكين قبل أن تكون أماً لأبنائها. . من جبلت على حب الجود والإنفاق في الجاهلية وبعد الإسلام إنها زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

ولدت في مكة قبل البعثة بثلاث عشرة سنة تقريباً، وكانت من السابقات للدخول في الإسلام، وكانت لا تفتر لحظة عن ذكر الله، ولا عن الإنفاق على الأرامل والمساكين.

اختلف أهل العلم في أمر زواجها فمنهم من قال: كانت زوجة لعبد الله ابن جحش رضي الله عنه، ومنهم من قال: إنها كانت زوجة للطفيل بن الحارث، وقال الإمام الذهبي: قتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم تمكث عنده إلا شهرين أو أكثر وتوفيت رضي الله عنها.

لم يكن رضي الله عنها يخطر ببالها أنها ستكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ولكن الله سبحانه وتعالى عندما يريد أمراً فإنما يقول للشيء كن فيكون، فما إن انتهت عدتها وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يتقدم لخطبتها، ولقد أصدقها رسول الله أربعمائة درهم وبنى لها حجرة متواضعة بجوار حجرة عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما جميعاً. .

كانت رضي الله عنها تعيش في عالم الرأفة والرحمة والمودة والحنان فهي رحيمة بالمساكين والأيتام وذوي الحاجات، وتحس بسعادة عظيمة في حبها لهم ورأفتها عليهم والإحسان إليهم.

فكانت تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير من اليد السفلى).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله تعالى من خضرة الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم).

فعندما تسمع هذه الأحاديث تتوق نفسها إلى الجنة وتتشوق عينها إلى رياضها وهي التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..

لقد كانت أمنا زينب بنت خزيمة عابدة من العابدات، ذات نفس طيبة لا ينطق فمها إلا حباً، ولا تخرج يدها إلا كرماً وجوداً وسخاء، فقد كانت قريبة إلى نفس المصطفى عليه الصلاة والسلام وحزن لوفاتها حزناً شديداً وأعادت له ذكرى وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولقد توفيت أم المساكين ولم ترو شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الذهبي رحمه الله: وما روت عنه شيئاً، ولعل هذا يعود إلى انشغالها بأحوال المساكين وقلة مكثها في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر: 54، 55].

سيدة القصور[1]

على ضفاف نهر بردى.. حيث غوطة دمشق.. وبين أشجار اللوز والليمون.. ولدت سيدة لم تر العين أبهى من حظها، ولا أعرق من نسبها.. حين تطل بمحياها يختبأ المجد خجلاً من أصالتها وعظيم شرفها.

تلك هي فاطمة بنت عبد الملك بن مروان.. وليدة قصر الخضراء بيت الخلافة الأموي.. سيدة منذ نعومة أظفارها.. حملت بين آثارها خطوات ثابتة لامرأة عربية أصيلة توجت عقلها بعظمة الإسلام وأخلاق العرب المثلى.. فشبت يافعة طلقة المحيا دمثة الخلق رصينة بجمالها القرشي.. فهفت نحوها قلوب الأمراء الأمويين كل يطرق بابها خاطباً وراغباً.. لكن والدها عبد الملك تاقت نفسه لأفضلهم عقلاً وأكثرهم عزاً وأنبلهم خلقاً ابن أخيه عمر بن عبد العزيز.. ولم يتردد خليفة المسلمين في أن يعرض عليه الأمر قائلاً له: قد زوجك أمير المؤمنين ببنته فاطمة.. فرد عليه عمر: وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزيت وكفيت.. لتدخل فاطمة مروج التاريخ من أبهى بساتينه كشجرة باسقة طيبة الريح وعظيمة الأثر.. فعاشت مع زوجها عيشة الرغد والحب المعطاء.. تجمع السكينة والألفة بين نفسيهما لتصنع من زواجهما نموذجاً

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم :ص62.

جميلاً في التضحية لأجل الهدف النبيل.. فاجتمع لها ما لم يجتمع لنساء الأرض قاطبة من العظمة والسؤدد والجاه والزواج السعيد.

ثم توجت أقدار السماء نعيمها على سيدة بني أمية حين توفي أخوها سليمان بن عبد الملك تاركاً الأمر من بعده لعمر بن عبد العزيز.. لتصبح حفيدة لخليفة وابنة لخليفة وأختاً لأربعة خلفاء، ثم زوجة لخليفة.. غير أن هذا الأمر العظيم لم يكن لعمر بن عبد العزيز طمع فيه.. فقد وصلت إليه الخلافة مختالة تجر أذيالها وهو غير راغب بها ولا آبه لتيجانها.. بل تلقفها بوجل كبير وهم تخر له الجبال.. ناظراً إلى عرشها بقدر التكليف لا التعظيم.. ليعود أدراجه إلى منزله بعد سماعه النبأ وقد عرج على الجامع الأموي معتلياً منبره يخاطب الناس بصوت متحشرج باك.. يتوسل إليهم أن يعفوه من هم الخلافة!!! فيزداد الناس به تمسكاً وله إكباراً.. فيغادرهم على ظهر دابته رافضاً مواكب الخلافة المحلاة بأثمن الجواهر وأعظم الخيول.. تلك المواكب التي اعتاد خلفاء بني أمية ركوبها بعد اعتلائهم سدة الحكم.

ليصل إلى بيته وقد لبسه الهم والحزن.. لا يقوى على تحمل المصاب.. في وقت كانت فاطمة سعيدة بما حباها القدر من حظوة حين صارت زوجة لخليفة المسلمين فتخرج لاستقباله فرحة متزينة كعادة النساء، بأنفس اللآلئ والحلي.. وقد علت وجنتيها إمارات السعادة والابتهاج.. لتفاجأ به مهموماً يذرف الدموع ولا يقوى لسانه على وصف الحال.. فتهدئ من روعه وتسأله عما أصابه وهو اليوم خليفة للمسلمين والآمر المطاع.. فيجيبها وقد أجهش في البكاء: يا فاطمة لقد أصبت كرباً ففكرت بالفقير الجائع والمسكين الضعيف والمظلوم المقهور فعلمت أن الله عز وجل سائلي عنهم يوم القيامة.. لتخبو بهذه الكلمات شمعة الفرح التي اشتعلت في قلبها وتستيقظ

على الواقع الجديد الذي فرضته أعباء الخلافة على زوجها الحبيب. . فتعي الدرس العمري الجديد لترجع بخطاها إلى عهد خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام حين نظروا إلى الحكم مكلفين لا محبين. . فتعلم أنها الآن لا تقف أمام ابن عمها الأمير الأموي المدلل. . بل تقف أمام حفيد عمر بن الخطاب الذي فرق الحق عن الباطل. . وأنها منذ هذه اللحظة مقبلة على حياة ربما لن ترتضيها الكثير من النساء حين تطغى الدنيا بزخرفها الفاني على نعيم الآخرة الباقي عند ضعيفات النفوس. .

لكن عمر لم يترك لها المجال لكثرة التساؤلات فقد بادرها مخاطباً بما يرتضيه لنفسه من رد الضيع والهبات التي وصلته وهو أمير إلى بيت مال المسلمين. . فلم يبق مما تحت يده إلا ما كان من حر ماله. . ولم يكن ذاك سوى بيتاً متواضعاً بسيطاً. . ويعلم عمر بن عبد العزيز بأن ابنة عمه سليلة الأمجاد وليدة القصور لن تقدر على ما اختاره لنفسه من زهد الطلب وضنك الحياة ومشقة التكليف.

فيخيرها في أمرها بين عيشة البساطة كما أراد أو يسرحها إلى بيت أبيها لتعيش كما اعتادت عليه من النعيم. . وهنا يكمن الفرق بين النساء حين تشتري المرأة عظمة القرار بكل ما في الدنيا من متاع.

فتأبى فاطمة بنت عبد الملك إلا الرضا بما اختاره زوجها الحبيب تقاسمه الدنيا بكل ما فيها من حلوها ومرها لتتوج حبها في الجنة حين تصبح أجمل الحوريات وأحبهن إلى قلب زوجها. .

ولم يكتف الخليفة الزاهد بذلك. . بل ينظر إلى بريق الجواهر في معصمها وقدها كأنه جمار من نار جهنم فيردها إلى بيت مال المسلمين وفاطمة راضية بذلك. . لا تحولها الأيام عن قرارها. . فحينما توفي عمر بن عبد العزيز

وآلت الخلافة الأموية إلى أخيها يزيد بن عبد الملك أعاد إليها يزيد جواهرها قائلاً: هذه جواهرك التي وهبها عمر لبيت المال قد ردت لك.. فتجيبه وقد تملكها الحزن على وفاة عمر: والله لا أطيعه حياً وأعصيه ميتاً...

وجاء التحول السريع لحياة فاطمة من سيدة آمرة ناهية إلى امرأة بسيطة تغسل ثوب زوجها الأوحد الذي لا يملك سواه.. وتعجن العجين وتطهو الطعام بلا خدم ولا حشم.. راضية النفس مطمئنة البال باختيار لم يغير حياتها فحسب بل غير نظام الحكم الأموي، بزمن وجيز لم يتجاوز العامين وبضعة أشهر، وشعر به أهل الأرض قاطبة.. فقد هدأت له النفوس وعم الخير أرجاء البلاد من أقاصي الشرق عند نهر سيحون إلى أقاصي الغرب في المغرب والأندلس.. حتى أن عامل الخليفة على الصدقات ليطوف بالصدقة فلا يجد من يقبلها فللّه درك يا حفيد الفاروق !!

حين جاءت الأعرابية تريد لقاء الخليفة فدلها الناس على بيته البسيط.. فطرقته لتفتح لها الباب امرأة امتلأت يداها بالعجين، فسألتها الأعرابية عن الخليفة عمر بن عبد العزيز، فطلبت منها المرأة أن تنتظر للحظات ريثما يأتي الخليفة.. وإذا بجانب حائط البيت رجل يصلح الجدار، وقد علقت بقع الطين بيديه وثوبه.. فنظرت الأعرابية إليه مستغربة من جلوس هذه المرأة التي تعجن العجين أمام هذا الطيان الغريب لم تتستر منه.. فبادرتها بالسؤال عن هذا الطيان؟ وكيف تجلس أمامه دون أن تستر نفسها؟ فتجيبها ضاحكة: إنه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وأنا زوجته فاطمة..!!

تلك هي سيدة بني أمية التي حفرت في أعماق التاريخ بصمات واضحة لحسن الاختيار.. فكانت نبراساً يهتدي بها نساء المسلمين إلى قمة العظماء..

رحم الله فاطمة بنت عبد الملك.

وهل تزني الحرة؟ !![1]

غبار حوافر الخيل تملأ المكان.. ووقع الحوافر يتأجج ما بين مضرم بنار ثأر وآخر متحفز للدفاع عن معقل الإسلام الجديد... والأرض تخبئ تحت ترابها قصصاً لبطولات عانقت أكف السماء... والتراب متوهج يستعد ليرتوي من دماء الشهداء.. إنها أحد.. إحدى معارك الإسلام ومعلمة الأجيال بأن كلمات القائد لا بد وأن تكون نقشاً يعتلي جباه الجنود لا رجعة فيه.

بين صلال السيوف يطل وجه امرأة قرشية تعتلي هامة فرس تصول بين ذويها القادمين من براثن الوثنية الثملين على كأس الثأر صائحة..

مـشـي الـقـطـا الـبـوارق
نـمـشـي عـلـى الـنـمـارق
نـحـن بـنـات طـارق
إن تـقـبـلـوا نـعـانـق
والـدُّر فـي الـمـخـانـق
والـمـسـك فـي الـمـفـارق
أو تـدبـروا نـفـارق
فـراق غـيـر وامـق

(1) الطبقات الكبرى (8/ 235، 236)، نساء حول الرسول : ص240، نساء يضرب بهن المثل: ص62.

حتى إذا ما التحمت الجيوش صلصلت مجلجلة تطلب ثأر أبيها وأخيها وعمها فتقول:

ويــهــاً بــنــي عــبــد الــدار
ويــهــاً حــمــاة الــدار
ضــربــاً بــكــل بــتّــار

حتى إنّ صوت صليلها ليضايق المسلمين فيراودهم الخاطر في قتلها لولا أن كرامة الإسلام تأبى قتل امرأة لم تحمل السيف إلا بلسانها فقط.

لا بد وأنكم عرفتموها.. إنها هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية.. زوجة أبي سفيان وصاحبة أكبر ثأر وأعظم مصاب تحدثت عنه كتب التاريخ.

حين تقابل المسلمون مع قوى الشرك في بدر كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يقدم للإسلام أعظم ضروب القوة والتحدي فقد استطاع في المبارزة التي سبقت التحام الجيشين في بدر أن يقتل عمها ويجهز على أبيها ثم أخيها لتستعر نيران الثأر في قلبها على حمزة منذ تلك اللحظة.. فكان مصابها أوقع من خنجر مسموم في صدر امرأة عرفت بقوة شكيمتها التي فاقت بها بعض الرجال.. وإذا بالدمعة تتحجر في عينها فلا تدعها تخرج حتى لا يصل خبرها لمن أرادت أن تأخذ بثأرها منهم.... وحرمت على نفسها الطيب والقرب من فراش أبي سفيان حتى تثأر لقتلاها في بدر. ولئن عزت دمعتها فإن لسانها وصف حالها حين قالت:

أعـيـنـي جـودا بـدمـع سـرب علـى خير خندف لـم ينقلب
تـداعـى لـه رهـطـه غـدوة بـنـو هـاشـم وبـنـو الـمـطـلـب
يـذيـقـونـه حـدّ أسـيـافـهـم يـعُـلّـونـه بـعـدمـا قـد عـطـب
يـجـرونـه وعـفـيـر الـتـراب علـى وجـهـه عـاريـاً قـد سُـلـب

فكان يوم أحد هو يوم الثأر عند هند لتشفي به غليلاً جاش في صدرها وأضرم ناره عاماً كاملاً.. ترى هند بصيص أمل في تحقيقه في صورة (وحشي) ذاك العبد الحبشي الذي لم يخطئ رمحه الهدف قط فتمنيه بالفضة وعتق الرقاب قائلة: اليوم يومك أبا دسمة اشف واستشف.

ليقتل وحشي حمزة غيلة بظلم ثأر استشرت نيرانه لتطعن في أسود الإسلام حقداً على ضراوتهم.. لكن ذلك لم يشف غليل-هند وبؤس جاهليتها.. فنرى أنياب الثأر تطل من أعماقها لتلوك كبد حمزة وهو في عرف البشر ميت.. ثم تجدع أنفه وتقطع أذنيه في أبشع صورة عرفها الانتقام في فعل امرأة ثم تعلقهما أقراطاً وسلاسل تتزين بها بعد أن خلعت كل ما اعتلى قدّها من جواهر لتعطيها لوحشي.

أي هند هذه.. والوحشية تعانق قلبها تمحو من خطواتها معالم الإنسانية.. تقطع في طريقها أوصال الحنان والرأفة من قلب امرأة.. في سبيل الثأر الذي سيطر على العقل في شيطانية تعلن عن انتصار روح العصبية القبلية من قلوب أعراب رفضوا دعوة رجل منهم يقول: ربي الله !!! رغبة منهم في التمسك بخطوات الضلالة يقدمونها قرابين في معابد الشيطان.

تلك هي الصورة الموحشة من حياة هند بن عتبة.. أقوى نساء العرب وأكثرهن شكيمة وشهرة على الإطلاق.

وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم حين علم أنها لاكت كبد حمزة على التوثق ممن شاهدوا فعلتها إن كانت بلعتها أم لا.. تحسباً من بلعها فيحرم الله جسدها بمضغة من كبد حمزة على النار.. يا لطهر قطعة من كبد حمزة حين يصعب على وثنية هند ابتلاعها.. فكيف للباطل أن يبتلع الحق.. وهل يقوى الشيطان على هضم نور من أنوار الله !!! لتظل هذه الصفحة نقطة سوداء تشوه حياة امرأة من أشرف بيوت العرب.

وهذا الأمر يدفعنا للتساؤل: هل لو كانت هند بنت عتبة مع المسلمين وعدوها الذي لاكت كبده من المشركين أكانت تفعل ذلك؟؟ بالطبع لا فالإسلام يهذب الأخلاق ويزرع رياحين الخير في طباع أهله.. يقضي عبر أنواره على تعطشهم للدماء إلا ما كان دفاعاً عن دين الله وفي سبيل مرضاته.. وأيم الله لو أن نساء المسلمين قاطبة أمسكن بوحش معاصر كالصهيوني المتغطرس شارون الذي يرتوي كل صباح من دماء الشعب الفلسطيني لما فعلن به هذه الفعلة لأن إنسانيتنا كمسلمين أقوى من مطالب التشفي بالثأر إلا في غمار الخطوب.

وبعد أعوام على هذه الواقعة يفتح الله على المسلمين مكة.. ليعلو صوت الحق ممتشقاً عنان السماء محطماً لمعقل الوثنية الأول في جزيرة العرب.. معلناً عن عودة الإسلام إلى رحاب مهبط الوحي فترتعد هند من ذكرياتها الدامية.. ترتجف من إهدار النبي صلى الله عليه وسلم لدمها اعترافاً منها بخطأ لحق بها جراء وحشية أثقلت كاهلها حتى أخذت بثأرها.. وكأن

الاعتراف بالخطأ بات حملاً ثقيلاً يستوجب معه الصفح والغفران من صاحبه.. فخرجت مع نساء مكة لتلتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تنقبت بنقاب يغطي وجهها حتى لا يعرفها أحد.. فلما دنت منه عليه السلام قالت له: يا رسول الله الحمد لله الذي أظهر هذا الدين الذي اختاره لنفسه.. لتنفعني رحمتك يا محمد.. إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة لرسوله.. أنا هند بنت عتبة، فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: مرحباً بك... لتنزل كلمات الترحيب على قلبها كغيث عذب يغسل في طريقه كل ضباب الجاهلية وأوحالها، فترد عليه قائلة: (والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إليّ من أن يذلوا من خبائك.. ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من خبائك).

ثم بدأت بيعة الرسول الكريم لنساء مكة وهند فيهن..فيخاطبهن النبي صلى الله عليه وسلم كعادته في بيعة النساء (**تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً**)، فقالت هند بفطنة المرأة حين سمعت ببيعة النبي للرجال من قريش: وإنك والله لتأخذ علينا ما لم تأخذه على الرجال فسنؤتيكه. فقال النبي عليه السلام: (**ولا تسرقن**)، فردت عليه معترفة بخطئها حين كانت تأخذ من مال أبي سفيان شيئاً لنفسها دون علمه قائلة: والله إني كنت لأصيبّن من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان،وكان حاضراً: أما ما مضى فأنتِ منه حِلٌّ.

ثم أكمل نبي الله عليه الصلاة والسلام: (**ولا تزنين**)، فردت هند بروح المرأة الصادقة الأبية (وهل تزني الحرة؟!).. ليردف النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: (**ولا تأتين ببهتان تفترينه من بين أيديكن ولا أرجلكن**)، فتقول هند: إنه لعمل قبيح !! كلمات عابرة مرت عبر غياهب التاريخ دون أن يتلمس حروفها أحد.. صاحبتها امرأة قوية الشكيمة لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب وجدعت

أنفه وقطعت أذنه.. اليوم تستهجن عبر حروفها قائلة: (أو تزني الحرة).. تأنف باستنكار واضح رذيلة تعافها المرأة في جاهليتها وحتى يوم أباحت مضغ أكباد الرجال وأباحت لنفسها السجود للأصنام !! لنقف هنا وقفة مع المرأة الحَرّة حين تعاف الرذيلة وتبغضها قبل أن تعتنق الإسلام، وتصفها بالقبح والإسلام بعد حديث عهد في قلبها لم يبلغ بها مبلغ السابقين.. فهل يعني هذا أن العفة تسكن قلب المرأة الحرة بغض النظر عن دينها؟ وأن دماثة الخلق يمكن أن تأنس لقلوب لم يسكنها الإيمان بالله بعد.

نعم.. وهند أصدق دليل !!!

فكيف بنا نحن المجتمع المسلم وهذه الرذيلة تنهش في أعراضنا وتستشري نارها في ديارنا.. حين تغرق بعض النساء من مجتمعاتنا في خصلة هي قبيحة في الجاهلية فكيف بها في الإسلام.. يعلق البعض السقوط بها على شماعة الفقر والظروف !!! ألا يحق لنا الآن أن نطالب بحرية نسمو بها بفضائلنا قبل أن نسجد لخالقنا ونصلي لبارئنا !!!

وهذه الخصلة الدنيئة تأنف منها الأحرار النساء الجاهليات، وصدق لسان العرب حين قال: (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها)، فكيف بنا ونحن نعيش في ظل مجتمعاتنا المسلمة التي ولدنا وتربينا في أحضانها.

هاتان صورتان للمرأة الصلبة التي دقت طبول الثأر تتحدى بها الصعاب رغم الأخطار الأبية التي تأنف القبح الذي لا يتفق مع الفطرة والأعراف.. ولنا من مواقف النساء عبرة لمن أرادت أن تعتبر.

عائشة التيمورية(1)

حين تشرق شمس بعد غروب طويل يزهر الفضاء بسواسن اشتاقت لشعاعها.. ويحلو للعصفور التحليق في سمائها بحثاً عن أشعة نسجتها على طريق النور..

هكذا أنظر إلى سيدتي التي أنا بصدد الحديث عنها إذ أراها شمساً أطلّت على سماء المرأة المسلمة بعد انقطاع دام قروناً.. فقدت خلالها المرأة أهميتها ودورها في بناء لبنات المجتمع.. وبات من يعرف كيف يفك الخط عالماً.. ومن يحسن قراءة القرآن شيخ زاوية.. وأضحى الموروث من العرف أقوى في ألباب الناس من النهج الرباني.. فغدت المرأة متاعاً ووعاء ليس إلا !!!!

في هذا الموج الشديد الظلمة وخلف أستار ليله الدامس ولدت شاعرتنا عائشة هانم تيمور في القاهرة سنة 1840 م لأب تركي كان ساعداً من سواعد محمد علي فارتقى في السلك الحربي حتى بلغ مرتبة الباشوية.. لكن تكوينه العسكري لم يمنعه من الاهتمام بالأدب والثقافة أكثر من اهتمامه بالحرب.. ويبدو أن عائشة تأثرت به فظهر حبها للعلم من نعومة أظفارها.. ومالت للقراءة أكثر من الحياكة والتطريز.. وتجلّى اهتمامها بالقرطاس أكثر من الغسل والطبخ

(1) مجلة المنار، العدد 86.

الأمر الذي لم يكن مألوفاً في عصر أقصى ما تتعلمه المرأة هو الأعمال المنزلية والتطريز !!!

كانت والدة عائشة تيمور من ربات الخدور اللواتي يسعين إلى تعليم بناتهن ما ينفعهن في حياتهن الزوجية فحسب.. فلم تقبل بميول ابنتها وعملت على تعنيفها حرصاً منها على تعلم ما يصلح لها.. خاصة وأن ذلك العصر كان يقيس المرأة بمقاييس العرف السائد.. لكن والدها كان له موقف معاكس من والدتها.. فما لبث أن اهتم بموهبة ابنته الأدبية وعمل على تشجيعها.. ولما كان عصرها مقتصراً على الكتاب ومدارس الذكور التي لم تحظ بها سوى المدن الكبرى فقد جلب لها المعلمين والمعلمات لتعلم القرآن الكريم والفقه والخط والشعر وعلم العروض.. مما ساهم في صقل موهبتها وظهورها بشخصية تختلف عن بنات عصرها.. واستمرت على ما شغف به قلبها يجذبها العلم بحباله المتينة أكثر مما تستهويها مجالس النساء وحكايات القيل والقال.. فنفرت مما اعتادت عليه بنات جيلها لتوارى خلف أبواب مجالس الأدب التي اعتاد والدها أن يقيمها في بيته تستمع لأقوال الأدباء والشعراء دون أن يعلم بها أحد.. الأمر الذي أدى إلى حدوث صراع بين الأم والأب عبرت عنه في مقدمة ديوانها (حلية الطراز) حين قالت: (وكانت أمي تعنفني بالتكدير والتهديد، فلم أزد إلا نفوراً، وعن صفة التطريز قصوراً، فبادر والدي، تغمد الله بالغفران ثراه، وجعل غرف الفردوس مأواه، وقال لها: دعي هذه الطفيلة للقرطاس والقلم، ودونك شقيقتها، فأدبيها بما شئت من الحكم، ثم أخذ بيدي وخرج بي إلى محفل الكتاب).

وما إن بلغت عائشة تيمور الرابعة عشرة من عمرها حتى تزوجت من محمد توفيق زاده فعاشت معه كسيدة أرستقراطية.. يحفل منزلها بالخدم

والحشم.. فلم تصرف وقتها بين دور الأزياء وصالونات الشعر كما تفعل النساء.. بل عكفت في أوقات فراغها على كتب الصرف والنحو والعروض حتى أتقنت اللغة العربية إلى جانب إتقانها للغتين الفارسية والتركية......فكتبت باللغات الثلاث دواوين شعرها التي تركتها نموذجاً لانبلاج فجر الوعي في حياة المرأة المسلمة بعد كبوة طويلة.

وشاءت الأقدار أن تمتحن عائشة في ابنتها (توحيدة) التي ماتت ولها من العمر عشر سنوات.. ويبدو أن توحيدة كانت برعم شجرة باسقة من أمها عائشة فحزنت لفراقها أيما حزن.. وأطلقت المراثي والآهات التي جاء منها:

أماه لا تنسي بحق بنوتي قبري لئلا يحزن المقبور
ورجاء عفو أو تلاوة منزل فسواك من لي بالحنين يزور
فلعلماً أحظى برحمة خالق هو ربنا راحم وغفور

استمرت عائشة تبكي ابنتها سبع سنوات حتى أصيبت بالرمد ونصحها الأطباء والمقربون بأن تخرج من هالة حزنها.. فانصرفت تواسي نفسها بقراءة القرآن عاكفة على دراسته، وتنهل من الحديث الشريف الأمر الذي أضفى على حياتها إجلالاً وإكباراً وأكسب قلمها مزيداً من السموّ.. فأطلقت لكتاباتها الشعرية والنثرية العنان تشدو في الكثير من المجالات التي عاصرتها مطالبة المجتمع بتهذيب الفتيات وتعليمهن.. وصرفت جل اهتمامها لتحقيق هذا الهدف.. فكانت كما وصفها معاصروها درة يتيمة في عصر الرجال...

اشتهرت عائشة تيمور بقصيدتها التي جاء فيها:

بيد العفاف أصون عز حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي
ولقد نظمت الشعر شيمة معشر قبلي ذوات الخدر والأحساب

عوذت من فكري فنون بلاغتي بتيمية غراء وحرز حجاب
ما ساءني خدري وعقد عصابتي وطراز ثوبي واعتزاز رحابي

هذه عائشة تيمور سباقة عصرها في الخروج من قيد العادات البالية وظلمة الأعراف التي لم ينزل الله عز وجل بها سلطاناً إلى نور نسج ظلاله على ثوبها المخملي.. تتوج حياتها الاجتماعية الأرستقراطية بدرر العلم والثقافة بدلاً من الألماس والذهب.. فهل لنا بالخروج أيتها المرأة المسلمة من دنيا السطحية إلى عالم الثقافة الحقيقية لنرقى وترقى أمتنا بين الأمم.

أم سعد ابنة النقيب الشهيد[1]

نحن الآن مع سيرة صحابية جليلة استشهد أبوها في غزوة أحد، وكانت أمها حاملاً بها، ووضعتها بعد عدة أشهر من استشهاد والدها.

إنها جميلة بنت سعد بن الربيع رضي الله عنهما، والتي اشتهرت بكنيتها: أم سعد نشأت رضي الله عنها يتيمة في حجر أبي بكر الصديق رضي الله عنه واقتبست من أخلاقه الكريمة، ومن خصاله الحسان ما رفع مكانتها، وطيب سيرتها.

وقد أنزل الله عزل وجل في شأن أم هذه الصحابية وأختيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ذلك أنه لما استشهد سعد بن الربيع في أحد، جاء أخوه فأخذ ميراث سعد، وكان لسعد بن الربيع بنتان، وكان المسلمون يتوارثون على ما كان في الجاهلية، لأن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث حتى استشهد سعد بن الربيع رضي الله عنه، فلما أخذ عمهن الميراث كانت عمرة زوج سعد امرأة حازمة عاقلة صابرة، فساءها ما صنع أخو زوجها، وفزعت تشكو ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لينطق بحكم الله تعالى ولينقذها وابنتيها من ظلم الجاهلية.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 428)، السيرة النبوية لابن هشام (2/ 81، 82).

قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا ينكحان إلا من لهما مال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يقضي الله في ذلك**). فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال: (**أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن وما بقي فهو لك**).

تزوجت أم سعد رضي الله عنها من زيد بن ثابت الأنصاري، كاتب الوحي والمصحف، وأحد الأذكياء النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاستفادت أم سعد رضي الله عنها من زيد في فقهه وعلمه ما جعلها في مقدمة العالمات الفقيهات من نسوة الأنصار رضي الله عن الجميع.

وولدت أم سعد لزيد عدداً من الأبناء النجباء هم: خارجة، وسليمان، ويحيى، وعمارة، وإسماعيل، وأسعد، وعبادة، وإسحاق، وحسنة، وعمرة، وأم إسحاق، وأم كلثوم.

وهذه الصحابية الجليلة أم سعد هي التي حكت ما حدث لأم عمارة رضي الله عنها في غزوة أحد، قالت رضي الله عنها: دخلت على أم عمارة رضي الله عنها فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال، وأذبّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ، قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت أم عمارة: ابن قمئة أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول: دلوني على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

الخنساء[1]

تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح السلمية، صحابية جليلة، وشاعرة مشهورة قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، فأسلمت معهم.

كانت الخنساء تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها شقيقها معاوية بن عمرو، وقتل أخوها لأبيها صخر، وكان أحبهما إليها لأنه كان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة، كان غزا بني أسد، فطعنه أبو ثور الأسدي طعنة مرض منها حولاً ثم مات، فلما قتل أخوها صخر قالت ترثيه:

أعـــيـــنـــي جـــودا ولا تـــجـــمـــدا
ألا تـــبـــكـــيـــان لـــصـــخـــر الـــنـــدى

ألا تـــبـــكـــيـــان الـــجـــريء الـــجـــمـــيـــل
ألا تـــبـــكـــيـــان الـــفـــتـــى الـــســـيـــدا

طـــويـــل الـــنـــجـــاد رفـــيـــع الـــعـــمـــاد
ســـاد عـــشـــيـــرتـــه أمـــردا

(1) الإصابة (4/ 287)، من الاستيعاب لابن عبد البر(4/ 297).

إذا الـــقـــوم مـــدوا بـــأيـــديـــهـــم
إلى الـــمـــجـــد مـــدّ إليه يـــدا
فـــنـــال الـــذي فـــوق بـــأيـــديـــهـــم
مـــن المجـــد ثـــم مـــضـــى مـــصـــعـــدا
يـــحـــمـــلـــه الـــقـــوم مـــا عـــالـــهـــم
وإن كـــان أصـــغـــرهـــم مـــولـــدا
تـــرى الـــمـــجـــد يـــهـــوي إلـــى بـــيـــتـــه
يـــرى أفـــضـــل المجـــد أن يحـــمـــدا
وإن ذكـــر الـــمـــجـــد ألـــفـــيـــتـــه
تـــأزر بـــالـــمـــجـــد ثـــم ارتـــدى

وقالت في رثاء معاوية:

ألا لا أرى فـــي الـــنـــاس مـــثـــل مـــعـــاويـــة
إذا طـــرقـــت إحـــدى الـــليالي بـــداهـــيـــة
بـــداهـــيـــة يـــصـــغـــى الـــكـــلاب حـــســـيـــســـهـــا
وتخـــرج مـــن ســـر الـــنـــجـــي عـــلانـــيـــة
وكـــان لـــزاز الـــحـــرب عـــنـــد نـــشـــوبـــهـــا
إذا شـــمّـــرت عـــن ســـاقـــهـــا وهـــي ذاكـــيـــة
وقـــواد خـــيـــل نـــحـــو أخـــرى كـــأنـــهـــا
ســـعـــال وعـــقـــبـــان عـــلـــيهـــا زبـــانـــيـــة
بـــلـــيـــنـــا ومـــا تـــبـــلـــى تـــعـــار ومـــا تـــرى
عـــلى حـــدث الأيـــام إلا كـــمـــا هـــيـــه

فـأقــسـمــت لا يــنــفــعــك دمــعــي وعــولــتــي
عـــليك بـــحـــزن مـــا دعـــا الله داعـــيـــة

لقد كانت شهرة الخنساء رضي الله عنها قد ذاعت وطار صيتها في كل مكان، وخاصة من خلال مراثيها التي سارت بها الركبان.

وهي إلى شاعريتها صاحبة شخصية قوية، تتمتع بالفضائل والأخلاق العالية، والرأي الحصيف، والصبر والشجاعة.

وإن موقفها يوم القادسية لدليل واضح على صبرها وشجاعتها، فقد خرجت في هذه المعركة مع المسلمين ومعها أبناؤها الأربعة، وهناك، وقبل بدء القتال أوصتهم فقالت: يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين والله ما نبت بكم الدار، ولا أقحمتكم السنة[1]، ولا أرداكم[2] الطمع، والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا غيرت نسبكم، ولا أوطأت حريتكم، ولا أبحت حماكم. وقد تعلمون ما أعد الله لكم من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرت لظاها على ساقيه، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها[3] وجالدوا رئيسها عند

(1) السنة : القحط والجدب.

(2) أرداكم : أهلككم.

(3) الوطيس : المراد هنا شدة اشتعالها والأصل فيه : التنور وما أشبهه.

احتدام خميسها[1] فظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، فلما أضاء لهم الصبح بكروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول:

يـا أخـوتـي إن الـعـجـوز الـنـاصـحـه
قـد نـصـحـتـنـا إذ دعـتـنـا الـبـارحـه
مـقـالـه ذات بـيـان واضـحـه
فـبـاكـروا الحـرب الـضـروس الـكـالحـه
وإنـمـا تـلـقـون عـن الـصـائـحـه
مـن آل سـاسـان كـلابـاً نـابـحـه
قـد أيـقـنـوا مـنـكـم بـوقـع الـجـائـحـه
وأنـتـم بـيـن حـيـاة صـالحـه
أو مـيـتـه تـورث غـنـمـاً رابـحـه

وتقدم فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله تعالى ..

ثم تقدم الثاني وهو يقول:

إن الـعـجـوز ذات حـزم وجـلـد
والـنـظـر الأوفـق والـرأي الأسـد
قـد أمـرتـنـا بـالـسـداد والـرشـد
نـصـيـحـة مـنـهـا وبـراً بـالـولـد

(1) الخميس: هو الجيش المؤلف من خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

فباكروا الحرب حماة في العدد

إما لفوز بادر على الكبد

أو ميتة ثورت عنم الأبد

في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ـ رحمه الله تعالى ..

ثم تقدم الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفاً

قد أمرتنا حدباً وعطفا

نصحاً وبراً صادقاً ولطفاً

فبادروا الحرب الضروس زحفا

حتى تلقوا آل كسرى كفاً

وتكشفوهم عن حماكم كشفا

إنا نرى التقصير عنهم ضعفاً

والقتل فيهم نجدة وعرفا

فقاتل حتى استشهد ـ رحمه الله تعالى ..

وحمل الرابع وهو يقول:

لست الخنساء ولا للأخزم

ولا لعمرو ذي السناء الأقدام

إن لم تور في آل جمع الأعجم

جمع أبي ساسان جمع رستم

بـــكـــل مـــحـــمـــود الـــلـــقـــاء ضـــيـــغـــم

مـــاض عـــلى الـــهـــول خـــضـــم خـــضـــرم

إمـــا لـــفـــهـــر عـــاجـــل أو مـــغـــنـــم

أو لحـــيـــاة فـــي الـــســـبـــيـــل الأكـــرم

نـــفـــوز فـــيـــهـــا بـــالـــنـــصـــيـــب الأعـــظـــم

فقاتل حتى قتل -رحمه الله تعالى- وفتح الله- عز وجل- للمسلمين فلما بلغ خبرهم الخنساء أمهم قالت:

«الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

وقفلت الخنساء عن ميدان القادسية وقد فتح الله تعالى على المسلمين. عادت إلى المدينة، وعلم بها عمر رضي الله عنه فعزاها في أبنائها، وكان يعطيها أرزاق أولادها الأربعة حتى قبض.

ثم انصرفت إلى البادية، إلى مضارب قومها بني سليم، وقد أنهكتها الأيام والأعوام، وما لبثت أن فارقت الحياة مع مطلع خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الشيماء بنت الحارث السعدية[1]

وهي ابنة حليمة السعدية التي كانت من بين مراضع بني سعد حين انطلقن إلى مكة يلتمسن الأطفال لإرضاعهم، فلم يطل مكثها بمكة حتى عادت تحمل معها طفلاً، ولم يكن هذا الطفل الرضيع سوى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي أرضعته حليمة، وطرحت البركة في كل ما عندها.

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء سنتين ترضعه حليمة، وتحضنه ابنتها الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدية أخت الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يخرج مع أولاد حليمة إلى المراعي، وأخته الشيماء تحضنه وتراعيه، فتحمله أحياناً إذا اشتد الحر وطال الطريق، وتتركه أحياناً يدرج هنا وهناك، ثم تدركه فتأخذه بين ذراعيها وتضمه إلى صدرها، وأحياناً تجلس في الظل فتلعبه وتقول:

يا ربنا أبق لنا محمداً
حتى أراه يافعاً وأمردا

(1) الإصابة (4/ 344)، البداية والنهاية (4/ 352).

ثـــم أراه ســـيـــداً مـــســـوداً
واكـــبـــت أعـــاديـــه مـــعـــاً والحـــســـدا
وأعـــطـــه عـــزاً يـــدوم أبـــدا

قال محمد بن المعلى الأزدي: وكان أبو عروة الأزدي إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها.

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في بني سعد إلى الخامسة من عمره ينهل من جو البادية الطلق الصحة والنماء، ويتعلم من بني سعد اللغة المصفاة الفصيحة. وقد تركت هذه السنوات الخمس في نفسه الكريمة أجمل الأثر وأبقاه، وبقيت الشيماء وأهلها وقومها موضع محبته وإكرامه طوال حياته- عليه الصلاة والسلام-.

ذكر الإمام ابن حجر في الإصابة أن الشيماء لما كان يوم هوازن ظفر المسلمون بهم، وأخذوا الشيماء فيمن أخذوا من السبي، فلما انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله، إني لأختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك، قالت: عضة عضضتها في ظهري، وأنا متوركتك، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة، فبسط لها رداءه، ثم قال لها: ههنا، فأجلسها عليه، وخيّرها، فقال: إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك فارجعي إلى قومك، فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي، فمتعها وردها إلى قومها.

ولم يتوقف إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للشيماء عند هذا فحسب، بل شمل ذلك بني سعد جميعهم، ومعلوم أن بني سعد من هوازن، وذلك أنه لما انتصر عليهم يوم حنين وغنم أموالهم ونسائهم وذراريهم، عند ذلك جاءه

وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنك ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك، رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن على قلوبهم الغمّاء والغمر
يا خير طفل ومولود ومنتجب في العالمين إذا ما حصل البشر
إن لم تداركها نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من مخضها الدرر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم)؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا، بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم)، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: **(إما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم)**، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: (ولقد كان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله عليه الصلاة والسلام قديماً وحديثاً، خصوصاً وعموماً).

أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب(1)

لبابة بنت الحارث، هي زوج العباس بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأم أولاده الرجال الستة النجباء الذين لم تلد امرأة مثلهم وهم: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن.

وفيها قال عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فحل   بجبل نعلمه وسهل
كسته من بطن أم الفضل   أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل   وخاتم الرسل وخير الرسل

أسلمت أم الفضل قبل الهجرة، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان ابنها عبد الله يقول: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان.

كانت أم الفضل رضي الله عنها شجاعة في الحق لا تخشى لومة لائم، والموقف الآتي يصور لنا ذلك: قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه

(1) الطبقات الكبرى (8/ 277)، سير أعلام النبلاء (2/ 315)، حياة الصحابة (4/ 365)، نساء حول الرسول: ص248.

وسلم: كنت غلاماً للعباس، وكان الإسلام فأسلم العباس سراً، وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يهاب قومه.

وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً.

فلما جاء الخبر ما أصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه، فوجدنا في أنفسنا قوة وعزاً قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرنا ما جاءنا من الخير، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس. فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم. فقال أبو لهب: هلم إلي، فعندك لعمري الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف أمر الناس؟ فقال أبو سفيان: والله ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين الناس، والأرض والله لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة! فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده !! فقام أبو لهب مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة - وهي بثرة تخرج بالبدن فتقتل وهي تشبه الطاعون - فقتلته.

ومن أخبار أم الفضل رضي الله عنها ما رواه ابن سعد في طبقاته

والترمذي في سننه أن أم الفضل رضي الله عنها رأت في منامها حلماً عجيباً فذهبت لتوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضائك في بيتي !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً وترضعينه بلبان ابنك قثم. وخرجت أم الفضل بهذه البشرى الكريمة**)، وما هي إلا فترة وجيزة حتى ولدت فاطمة الحسين بن علي رضي الله عنهما فكفلته أم الفضل. قالت أم الفضل: فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ينزيه ويقبله، إذ بال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**يا أم الفضل أمسكي ابني فقد بال علي**).

قالت: فأخذته، فقرصته قرصة بكى منها، وقلت: آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلت عليه، فلما بكى الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا أم الفضل آذيتني في بني، أبكيته**).

ثم دعا بماء، فحدره عليه حدراً، ثم قال: (**إذا كان غلاماً فاحدروه حدراً، وإذا كان جارية فاغسلوه غسلاً**).

ومن أخبار أم الفضل وفيها دلالة على حكمتها أن ناساً من الصحابة تماروا يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم. فأرسلت أم الفضل إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره.

توفيت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عاتكة بنت زيد العابدة الزاهدة[1]

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية، صحابية كريمة، هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

أمها أم كريز بنت الحضرمي، وخالها العلاء بن الحضرمي الصحابي المشهور، وخالتها الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة أيضاً.

اشتهرت عاتكة بنت زيد بين نساء قريش بالبلاغة والفصاحة، وقول الشعر، ورجاحة العقل.

وكانت عاتكة رضي الله عنها ذات خلق بارع، وصاحبة عقل راجح ورأي سديد، تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان شديد التعلق بها حتى انشغل عن كثير من أموره، فأمره والده بطلاقها، وعزم عليه بذلك فلم يسعه أن يخالف أمره، فطلقها واحدة وقال:

يقولون طلقها وخيم مكانها
مقيماً تمني النفس أحلام نائم

---

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 67)، الطبقات الكبرى (2/ 332)، البداية والنهاية (8/ 25)، نساء من عصر النبوة (1/ 376).

وإن فــراقــي أهــل بــيــتــي جــمــيــعــهــم
عــلى كــره مــنــي لإحــدى الــعــظــائــم

غير أن عبد الله تألم أشد الألم لفراق زوجه حتى أثر فيه ذلك، وشعر والده بذلك، وعرف تعلقه بعاتكة فرقّ له لشدة حبه لها فأذن له أن يراجعها، فارتجعها، وقال حين راجعها:

لــيــهــنــك أنــي لا أرى فــيــك ســخــطــة
وأنــك قــد حــلــت عــليك المحــاســن
فــإنــك مــمــن زيــن الله أمــره
وليس لما قــد زيــن الله شــائــن

وقد كان خبر عبد الله بعد ذلك أنه شهد مع رسول- الله صلى الله عليه وسلم- الطائف، فرمي بسهم فأصابه، فانتقض الجرح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين ليلة، فمات على أثر ذلك الجرح، فقامت زوجة عاتكة ترثيه وتقول:

رزيــت بــخــيــر الــنــاس بــعــد نــبــيــهــم
وبــعــد أبي بــكــر ومــا كــان قــصــرا
فــآلــيــت لا تــنــفــك عــيــنــي ســخــيــنــة
عــليك ولا يــنــفــك جــلــدي أغــبــرا
مــدى الــدهــر مــا غــنــت حــمــامــة أيــكــة
ومــا طــر الــليل الــصــبــاح المنــورا
فــالله عــيــنــاً مــن رأى مــثــل لــهــفــتــي
أكــر وأحمــى فــي الجــهــاد وأصــبــرا

إذا شـــرعـــت فـــيـــه الأســـنـــة خـــاضـــهـــا
إلى الموت حـــتـــى يـــتـــرك الـــرمـــح أحمـــرا

وبعد وفاة عبد الله تزوجت عاتكة من عمر بن الخطاب، سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فاحتلت عنده مكانة رفيعة، واقتبست كثيراً من علمه وزهده، وعندما قتل رضي الله عنه بخنجر أبي لؤلؤة المجوسي قامت عاتكة ترثيه وتقول:

عـــيـــن جـــودي بـــعـــبـــرة ونـــحـــيـــب
لا تمـــلي عـــلى الإمـــام الـــنـــجـــيـــب
قـــل لأهـــل الـــضـــراء والـــبـــؤس مـــوتـــوا
قـــد ســـقـــتـــه المنـــون كـــأس شـــعـــوب

ثم تزوجت عاتكة بعد عمر من الزبير بن العوام ـ رضي ـ الله عنه ـ عاشت معه إلى أن قتل الزبير غيلة يوم الجمل بوادي السباع، قتله عمرو بن جرموز سنة ست وثلاثين من الهجرة، فرثته قائلة:

غـــدر ابـــن جـــرمـــوز بـــفـــارس بـــهـــمـــة
يـــوم الـــلـــقـــاء وكـــان غـــيـــر مـــعـــرد
يـــاعـــمـــرو لـــو نـــبـــهـــتـــه لـــوجـــدتـــه
لا طـــائـــشـــاً رعـــش الـــبـــنـــان ولا اليد
ثـــكـــلـــتـــك أمـــك إن ظـــفـــرت بـــمـــثـــلـــه
فـــيـــمـــا مـــضـــى ممـــا تـــروح وتـــغـــتـــدي

كم غمرة خاضها لم تثنه
عنها طرادك يا ابن فقع الفدفد
والله ربك إن قتلت لمسلماً
حلت عليك عقوبة المتعمد

توفيت عاتكة في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة إحدى وأربعين.

مؤمنة بنص القرآن[1]

خولة بنت حكيم ابن أمية السلمية، صحابية جليلة، أسلمت مع المجموعة المبكرة من المسلمين ممن صافحت نسمات الإسلام أسماعهم منذ أن هبت في الأيام الأولى، فكتبت في قائمة السابقات إلى هذا الدين.

زوجها عثمان بن مظعون من سادة المهاجرين، وأحد أولياء الله المتقين، وأول من دفن بالبقيع.

كانت خولة رضي الله عنها امرأة صالحة فاضلة، وهي ممن اهتم بأمور النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت حريصة على إدخال السرور إلى نفسه، قالت عائشة رضي الله عنها: لما ماتت خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ألا تزوج؟ قال: (ومن)؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: (من البكر ومن الثيب)؟ فقالت: أما البكر فعائشة بنت أحب خلق الله إليك. وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت واتبعتك، قال: اذكريهما علي. قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: ماذا؟ قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر عائشة. قالت: انتظري فإن أبا بكر آت، فجاء أبوبكر

---

(1) الطبقات الكبرى (3/ 295)، تاريخ الإسلام (1/ 281)، نساء من عصر النبوة (1/ 249).

فذكرت ذلك له. فقال: أوتصلح له وهي ابنة أخيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أنا أخوه وهو أخي، وابنته تصلح لي.**

قالت: وقام أبو بكر، فقالت لي أم رومان: إن المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، ووالله ما أخلف وعداً قط، تعني أبا بكر. قالت: فأتى أبو بكر المطعم فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية. قال: فأقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين؟ فأقبلت على أبي بكر فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تصبئه وتدخله في دينك. فأقبل عليه أبو بكر فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع. فقام أبو بكر وليس نفسه من الموعد شيء، فقال لها: قولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فليأت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فملكها، قالت: ثم انطلقت إلى سودة بنت زمعة، وأبوها شيخ كبير قد جلس عن الموسم فحييته بتحية أهل الجاهلية، وقلت: أنعم صباحاً، قال: من أنت؟ قلت: خولة بنت حكيم، فرحب بي، وقال ما شاء الله أن يقول، قلت: محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب يذكر سودة بنت زمعة، قال: كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قلت: تحب ذلك، قال: قولي له فليأت، قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فملكها.

قالت: وقدم عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيه يوم أحثو على رأسي التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة.

وكانت خولة رضي الله عنها كثيرة الدخول على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فكن يكرمنها ويتفقدن شؤونها، ويسألن عن أحوالها، ومن ذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته وعبد الرزاق في مصنفه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة عثمان بن مظعون واسمها خولة بنت حكيم على عائشة

وهي باذة الهيئة. فسألتها: ما شأنك؟ فقالت؟ زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له عائشة، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فيّ أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا.

ولقد تأثر عثمان رضي الله عنه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالتفت إلى زوجه، واهتم بها، حتى إنها جاءت بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن لها: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

وعاشت خولة مع زوجها عثمان بن مظعون عيشة طيبة، فلما توفي تأثرت لوفاته، فقالت ترثيه:

يا عين جودي بدمع غير ممنون
على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات في رضوان خالقه
طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى غرقده
وأشرقت أرضه من بعد تفتين
وأورث القلب حزناً لا انقطاع له
حتى الممات فما ترقا له شوني

من مناقب هذه الصحابية الجليلة أن الله تعالى سماها في القرآن مؤمنة، فقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره، تحت قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ قال: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا ابن أبي

الوضاح يعني محمد بن مسلم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم. وقال ابن وهب، عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم: كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أم خالد بنت خالد آخر الصحابيات وفاة[1]

أمة بنت خالد، صحابية قرشية مكية، تكنى أم خالد. أبوها خالد بن سعيد ابن العاص أحد السباقين إلى الإسلام، وأمها أميمة بنت خلف الخزاعية إحدى فضليات نساء الصحابة. وأخوها سعيد بن خالد، أحد الصحابة الأبرار.

وعمها عمرو بن سعيد بن العاص من السابقين إلى الإسلام، قتل في معركة اليرموك.

وزوجها أحد العشرة المبشرين بالجنة الزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين.

ولدت أم خالد في أرض الحبشة، وفتحت عينيها على الإسلام، وكان والدها من المهاجرين إلى الحبشة حين اشتد الأذى على المؤمنين في مكة.

ولقد كان لأم خالد مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان يخصها بهديته، ومن ذلك أنه أتي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: **(من ترون أكسو هذه)**؟ فسكتوا. فقال: **(ائتوني بأم خالد)**، قالت أم خالد ـ وهي التي روت الحديث: فأتي بي أحمل، فألبسنيها

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 471)، الطبقات (8/ 234).

بيده، وقال (**أبلي وأخلقي**) يقولها مرتين، وجعل ينظر إلى علم الخميصة أصفر وأحمر، فقال: (**هذا سنا يا أم خالد، هذا سنا**) ويشير بإصبعه إلى العلم، وسنا بالحبشة: حسن.

وقد تزوجت أم خالد الزبير بن العوام رضي الله عنها، وولدت له عمراً وخالداً.

ولقد كان لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم أثر مبارك في حياة أم خالد رضي الله عنها عندما قال لها: (أبلي وأخلقي) إذ معنى الحديث كما قال الحافظ ابن الحجر في الفتح: (أي إنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق).

وقد استجيبت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تعش امرأة من الصحابة ما عاشت أم خالد. وذكر الذهبي في السير: أنها عمرت إلى قريب عام تسعين.

أميمة بنت صبيح أُمّ سيد الحفاظ[1]

والدة أبي هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات.

نشأ أبو هريرة يتيماً حيث توفي والده وهو صغير، وعاش في كنف أمه أميمة بنت صبيح بنت الحارث والتي تعرف بأم أبي هريرة.

قدم أبو هريرة على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً المحرم من سنة سبع للهجرة ولكن أمه رفضت أن تسلم، وظلت على شركها مدة، حتى جاء أبو هريرة يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو إليه بثه وحزنه وما يؤلمه.

فعن أبي كثير السحيمي قال: حدثني أبو هريرة قال: والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي إلا أحبني، قلت: وما علمك بذلك؟ قال: إن أمي كانت مشركة وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليّ، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فأخبرته وسألته أن يدعو لها، فقال: (اللهم اهد أم أبي هريرة)، فخرجت أعدو أبشرها،فأتيت فإذا الباب مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت حسي فقالت: كما أنت، ثم فتحت، وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده

---

(1) البداية والنهاية (8/ 110)، فتوح البلدان (256)، حلية الأولياء (1/ 380).

ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فأخبرته، وقلت: ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين، فقال: **(اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما)**.

قد كانت أم أبي هريرة مثالاً للجود والكرم، فقد كان أبو هريرة ذات يوم جالساً مع حميد بن مالك بن خثيم في أرض أبي هريرة بالعقيق، فأتاه قوم، فنزلوا عنده، قال حميد: فقال: اذهب إلى أمي فقل: إن ابنك يقرئك السلام ويقول: أطعمينا شيئاً، قال: فوضعت ثلاثة أقراص في الصحفة وشيئاً من زيت وملح، ووضعتهما على رأسي وحملتها إليهم. فلما وضعته بين أيديهم كبّر أبو هريرة وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز، بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودين: التمر والماء.

نسيبة بنت الحارث الأنصارية
الفقيهة الحافظة[1]

أم عطية الأنصارية، واحدة من فاضلات نساء الصحابة، وواحدة ممن أثرين تاريخ النساء بأعمال طيبة في الجهاد والفقه ورواية الحديث.

اسمها: نسيبة بنت الحارث الأنصارية، من كبار نساء الصحابة.

أسلمت مع السابقات من نساء الأنصار، وفي ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف كانت رضي الله عنها تسير في ركب الجيش الغازي، تروي ظمأ المجاهدين وتأسو جراحهم، وترقأ دمهم، وتعد طعامهم.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى.

وفي غزوة خيبر كانت أم عطية رضي الله عنها من بين عشرين امرأة خرجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغين أجر الجهاد.

وأم عطية هي التي غسلت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه قال:

---

(1) الطبقات الكبرى (8/ 456)، سير أعلام النبلاء (2/ 318)، الإصابة (4/ 477).

(اغسلنها وتراً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور، فإذا غسلتنها فأعلمنني) فلما غسلناها أعطانا حقوة، فقال: (أشعرنها إياه).

وقد كانت أم عطية تغسل من مات من النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ طلباً للمثوبة والأجر من الله تعالى.

وقد كانت أم عطية رضي الله عنها فقيهة حافظة، لها أربعون حديثاً، منها في الصحيحين ستة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديث.

وقد أخرج أحاديثها أصحاب السنن الأربع، وروى عنها أنس بن مالك رضي الله عنه من الصحابة، وروى عنها من التابعين محمد بن سيرين، وأخته حفصة بنت سيرين، وأم شراحيل، وعلي بن الأقمر، وعبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن عبد الرحمن.

وحديثها في غسل آنية رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور في الصحيح، كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة. وكان جماعة من التابعين يأخذون ذلك الحكم. وهي القائلة: (نهينا عن اتباع الجنازة، ولم يعزم علينا).

وقد انتقلت أم عطية رضي الله عنها في آخر عمرها إلى البصرة، واستفاد الناس من علمها وفقهها، فكان جماعة من الصحابة والتابعين يأخذون عنها غسل الميت.

وعاشت إلى حدود سنة سبعين، رضي الله عنها وأرضاها.

أميمة بنت خلف المهاجرة الصابرة(1)

حين بدأت الدعوة الإسلامية تظهر في مكة المكرمة أمّ القرى كانت أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ممن صادفت همسات الإيمان قلبها خالياً فتمكنت منه، حيث حدثها زوجها خالد بن سعيد بن العاص عن إسلامه واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وصدقت، وإليك قصة إسلامها مع زوجها:

كان خالد بن سعيد قد رأى في النوم أنه واقف على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله به أعلم، ويرى في النوم كأن أباه يدفعه فيها، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بحقويه لئلا يقع، ففزع من نومه فقال: أحلف بالله إن هذه الرؤيا حق. فلقي أبا بكر - رضي الله عنه- فذكر ذلك له فقال أبو بكر: أريد بك خير، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها. وأسلم خالد وحسن إسلامه، ودعا زوجه أميمة إلى الإسلام فأسلمت كذلك.

وعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه من بقي من ولده ولم يسلم، فوجدوه فأتوا به إلى أبيه أبي أحيحة، فأنّبه وبكّته وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، ثم قال: أتبعت محمداً وأنت ترى خلافه قومه، وما جاء به من

(1) الطبقات الكبرى (4/ 94)، سير أعلام النبلاء (1/ 260).

عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم؟ فقال خالد: قد صدق والله اتبعته. فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه، ثم قال: اذهب يا لكع حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به. فانصرف خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويكون معه.

ولقد كانت أميمة بنت خلف إلى جانب زوجها بن سعيد، تتحمل الشدائد، وتقهر العذاب بالتضحية، وتتفوق على الحرمان بزاد الإيمان الذي لا ينفد. ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة كان خالد وزوجه أميمة أول من هاجر إليها، وولدت له هنالك ابنه سعيد بن خالد، وابنته أمة بنت خالد التي اشتهرت بكنيتها فيما بعد: أم خالد بنت خالد.

ولبثت أميمة في أرض الحبشة مع زوجها وولديهما بضعة عشرة سنة حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه، ووجدوا أن رسول الله صلى عليه وسلم قد فرغ من فتح خيبر، وسعدوا بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد أن مكثوا في الحبشة طالت فيها غيبتهم وغربتهم.

عاش خالد إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قتل في معركة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة، وعملت أميمة رضي الله عنها بوفاة زوجها فصبرت واحتسبت، فكيف لا تفعل ذلك وقد قال الذي قتل خالداً بعد أن أسلم: من هذا الرجل؟ فإني رأيت نوراً ساطعاً إلى السماء.

أم سُليم الغُميصاء(1)

ويقال: الرُّميصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية،أم خادم النبي صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك. شهدت حُنيناً، وأحداً، من أفاضل النساء.

عن أنس: أن أم سُليم اتخذت خنجراً يوم حنين، فقال أبو طلحة: يارسول الله هذه أم سُليم معها خنجر! فقالت: يارسول الله إن دنا مني مُشركٌ بقرت بطنه.

عن إسحاق بن عبد الله، عن جدته أم سُليم: أنها آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فجاء أبو أنس، وكان غائباً، فقال: أصبوتِ؟ فقالت: ما صبوت، ولكني آمنت !وجعلت تُلقِّن أنساً: قل لا إله إلا الله، قل:أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل فيقول لها أبوه: لا تفسدي علي ابني، فتقول: إني لا أفسده! فخرج مالك فلقيه عدوٌّ له، فقتله. فقالت: لا جرم لا أفطِم أنساً حتى يدع الثدي ولا أتزوج حتى يأمرني أنس، فخطبها أبو طلحة وهو يومئذ مُشرك، فأبت.

خطب أبو طلحه أم سليم قبل أن يسلم، فقالت: ما مثلك يرد ولكنك

---

(1) أحسن المحاسن: ص 160-161، صفة الصفوة 2/ 69، حياة الصحابة 1/ 597، الطبقات (8/ 426).

رجل كافر وأنا مسلمة، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها. وفى رواية قالت له: ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد خشبة تنبت من الأرض نجرها حبش بني فلان؟ قال: بلى.

قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات من الأرض نجرها حبش بني فلان؟ إن أنت أسلمت لم أرد منك صداقاً غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فقالت: يا أنس، زوج أبا طلحه. وفى رواية قال ثابت: فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم «الإسلام».

وفى رواية قال لها يا رميصاء[1]، وأين الصفراء والبيضاء- يعنى الذهب والفضة-؟ فقالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، لا أريد غير الإسلام، لا أرضى مهراً سواه.

فقال: ومن أين لي بالإسلام؟

قالت: دونك رسول الله ﷺ اذهب إليه وأعلن إسلامك أمامه.

فانطلق أبو طلحه، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: « **أتاكم أبو طلحه غزة الإسلام بين عينيه**» ثم أخبره خبره مع أم سليم، فزوجه رسول الله ﷺ على ما اشترطت من المهر.

قال الجارود: حدثنا أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور أم سُليم، فتتحفه بالشيء تصنعه له، وأخ لي أصغر مني يُكنى أبا

---

(1) ويقال لها : الغميضاء وقيل الرميصاء، والغميطاء لحديث «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا هي الغميطاء بنت ملحان».

عُمير، فزارنا يوماً، فقال: ما لي أرى أبا عُمير خاثر النفس؟ قالت: ماتت صعوة له كان يلعب بها- أي: طير صغير - فجعل النبي يمسح رأسه، ويقول: (يا أبا عمير، ما فعل النغير).

عن أنس، قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بيتاً غير بيت أم سليم، فقيل له، فقال: (إني أرحمُها، قُتل أخوها معي).

وأخوها هو حرام بن ملحان، الشهيد الذي قال يوم بئر معونة: فزت ورب الكعبة، لما طُعن من ورائه فطلعت الحربة من صدره، رضي الله عنه.

عن أم سليم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل في بيتي، وكنت أبسُط له نطعاً، فيقيل عليه، فيعرق، كنت آخذ سُكاً فأعجنه بعرقه.

قال ابن سيرين: فاستوهبت من أم سليم من ذلك السُّك، فوهبت لي منه.

قال أيوب: فاستوهبت من محمد من ذلك السُّك، فوهب لي منه، فإنه عندي الآن.

قال: ولما مات محمد حُنط بذلك السُّك.

عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم وقربة معلقة، فشرب منها قائماً، فقامت إلى فيّ السقاء فقطعته. رواه عبيد الله بن عمرو، فزاد: وأمسكته عندها.

عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يحلق رأسه بمنى، أخذ أبو طلحة شِق شعره فجاء به إلى أم سليم، فكانت تجعله في سُكها.

عن أنس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: دخلت الجنة فسمعت

خشفة بين يدي، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان.

قال حُميد: قال أنس: ثقل ابن لأم سليم، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتوفي الغلام، فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروه، فرجع، وقد سيرت له عشاءه فتعشى، ثم أصاب من أهله. فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة. ألم تر إلى آل أبي فلان استعاروا عارية، فمنعوها، وطُلبت منهم فشق عليهم، فقال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله فقبضه. فاسترجع وحمد الله، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: (**بارك الله لكما في ليلتكما**) فحملت بعبد الله بن أبي طلحة فولدت ليلاً، فأرسلت به معي، وأخذت تمرات عجوة، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يهنأ أباعر له، ويَسمها، فقلت:

يا رسول الله ولدت أم سُليم الليلة، فمضغ بعض التمرات بريقه فأوجره إياه فتلمظ الصبي، فقال (**حبُّ الأنصار التمر**) فقلت: سمّه يارسول الله، قال: (**هو عبد الله**).

عن عباية بن رفاعة، قال: كانت أم أنس تحت أبي طلحة فذكر نحوه. وفيه: فقال رسول الله: (**اللهم بارك لهما في ليلتهما**). قال عباية: فلقد رأيت لذلك الغلام سبع بنين كلهم قد ختم القرآن.

خديجة بنت خويلد[1]

أم المؤمنين، سيدة نساء العالمين في زمانها. أمُّ القاسم، ابنة خويلد بن أسد القرشية الأسدية. أمُّ أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من آمن به وصدّقه قبل كل أحد، وثبتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة.

وهي ممن كمُل من النساء. كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُثني عليها، ويُفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويُبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة كان تقول: ما غِرت من امرأة ما غِرت من خديجة، من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها.

ومن كرامتها عليه صلى الله عليه وسلم أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط ولا تسرَّى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القَرين، وكانت تُنفق عليه من مالها، ويتجر هو صلى الله عليه وسلم لها.

وقد أمره الله أن يُبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

قال الزبير بن بكار: كانت خديجة تُدعى في الجاهلية الطاهرة. وأمها هي

(1) سيرة ابن هشام (1/ 190)، سير أعلام النبلاء (2/ 117)، نساء مبشرات بالجنة (1/ 13)، الطبقات (1/ 131).

فاطمة بنتُ زائدة العامرية.

كانت خديجة أولاً تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي، ثم خلف عليها بعده عتيقُ بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم بعده النبي صلى الله عليه وسلم، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة. وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة.

عن عائشة: أن خديجة تُوفيت قبل أن تُفرض الصلاة: وقيل: تُوفيت في رمضان، ودُفنت بالحجون، عن خمس وستين سنة.

عن عبد الله البهي، قال: قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها يوماً، فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السنِّ! قالت: فرأيته غضب غضباً أُسقطت في خلدي وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت، قال: **(كيف قُلتِ؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورُزقت منها الولد وحرمتموه مني)** قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً.

قال الواقدي: خرجوا من شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، فتوفي أبو طالب، وقبله خديجة بشهر وخمسة أيام.

عن أبي زُرعة، سمع أبا هريرة، يقول: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هذه خديجة أتتك معها إناءٌ فيه إدام أو طعامٌ أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

عن عبد الله بن جعفر: سمعتُ علياً: سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول: (**خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخيرُ نسائها مريم بنت عمران**).

قال ابن إسحاق: تتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة. وكانت خديجة وزيرة صِدق. وهي أقربُ إلى قُصي من النبي صلى الله عليه وسلم برجل، وكان مُتمولة، فعرضت على النبي صلى الله عليه وسلم أن يَخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها مَيسرة. فلما قدم باعت خديجة ماجاء به، فأضعف، فرغبت فيه، فعرضت نفسها عليه، فتزوجها، و أصدقها عشرين بكرة.

فأولادها منه: القاسم، والطيب، والطاهر، ماتوا رُضعاً، ورُقية، وزينت، وأم كلثوم وفاطمة.

قالت عائشة: أولُ ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة.. إلى أن قالت: فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، قالت: فَرجع بها تَرجف بوادره حتى دَخل على خديجة، قال: (**زملوني**).. فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال: (**ما لي ياخديجة؟**) وأخبرها الخبر وقال: (**قد خشيت على نفسي**)، فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصِل الرحم، وتصدق الحديث، وتَحمِل الكل، و تُعين على نوائب الحق. وانطلقت به إلى ابن عمها ورَقة بن نوفل ابن أسد، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الخط العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عَمي. فقالت: اسمع من ابن أخيك ما يقول: فقال: يا ابن أخي، ما ترى؟ فأخبره، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى الحديث.

قال الشيخ عز الدين بن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم، بإجماع المسلمين.

عن أنس: ((خير نساء العالمين مريم وآسية وخديجة بنت خويلد وفاطمة)).

عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم: فاطمة، وخديجة، وامرأة فرعون آسية)).**

عائشة بنت أبي بكر الصديق[1]

أم المؤمنين، بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر بن قُحافة. هاجر بعائشة أبوها، وتزوجها نبي الله صلى الله عليه وسلم قبل مُهاجرته بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، ودخل بها في شوّال سنة اثنتين مُنصرفة عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر. وهي ابنةُ تسع.

فروت عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه. مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث عائشة ممن وُلد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثماني سنين. وكانت تقول: لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين.

وكانت امرأة بيضاء جميلة. ومن ثم يُقال لها: الحُميراء. ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، ولا أحب امرأة حُبها، ولا أعلمُ في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها، زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**رأيتُك في المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه**).

(1) الطبقات (8/ 58)، حلية الأولياء (2/ 43)، الاستيعاب (4/ 1881)، سير أعلام النبلاء (2/ 135)، الإصابة (4/ 359).

وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بها إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة،فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر فما تزوج بكرًا سِواها، وأحبها حباً شديداً كان يتظاهر به، بحيث أنّ عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة، سأل النبي صلى الله عليه وسلم، أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: (عائشة) قال: فمن: الرجال؟ قال: أبوها.

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(كمُل من الرِّجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مَريم بنتُ عمران، و آسية امرأةُ فرعون، وفضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)**.

عن الزهري: حدثني أبو سلمة، أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يا عائشة، هذا جبريل، وهو يقرأ عليكِ السلام)**، قالت: وعليه السلام ورحمة الله، تَرى ما لا نرى يا رسول الله.

عن عائشة قالت: تزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتوفى خديجة، وأنا ابنة ستّ، وأُدخلت عليه وأنا ابنةُ تسع، جاءني نسوة وأنا ألعبُ على أُرجوحة فهيأنني وصنعنني، ثم أتين بي إليه صلى الله عليه وسلم.

عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحِراب في المسجد، وإنه ليستُرني بردائه لكي أنظُر إلى لعبهم، ثم يَقف من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرفُ. فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت لو أنك نزلت وادياً فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرة لم يُؤكل منها، فأيّهما كنت تُرتع بعيرك؟ قال: **(الشجرة التي لم يُؤكل منها)**، قالت: فأنا هي. تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها.

عن عائشة، قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كُنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقدي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، و أقام الناسُ معه وليسوا على ماء. فأتى الناسُ أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: ما ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء !قالت: فعاتبني أبو بكر، فقال ما شاء الله أن يقول،وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكانُ النبي صلى الله عليه وسلم على فخذي. فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا،فقال أسيد بن حُضير - وهو أحد النقباء -: ماهذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر !قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته.

عن عائشة، قالت: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعطيني العَظم فأتعرقُهُ، ثم يأخذُه فيُديرُه حتى يَضع فاه على موضع فمي.

عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديثٌ قط فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً.

عن ابن أبي مُليكة: أن ذكوان: أبا عمرو حدثه قال: جاء ابنُ عباس رضي الله عنهما يستأذنُ على عائشة، وهي في الموت. قال: فجئت وعند رأسها عبدُ الله ابن أخيها عبد الرحمن، فقلتُ: هذا ابنُ عباس يستأذن، قالت: دَعني من ابن عباس، لا حاجة لي به، ولا بتزكيته. فقال عبد الله: يا أمَّه، إن ابن عباس من صالحي بَنيك، يودعك ويسلم عليك، قالت: فائذن له إن شئت، قال: فجاء ابنُ عباس، فلما قعد قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تُفارقي كل نَصَب، وتَلقي مُحمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تُفارق روحُك جسدك. قالت: إيهاً يا ابن عباس! قال: كُنت أحبَّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني إليه - ولم يكن يُحبُّ إلا طيِّباً، سقطت

قِلادتك ليلةَ الأبواء، وأصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليلتقطها، فأصبح الناسُ ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، فكان ذلك من سببك، وما أنزل اللهُ بهذه الأمة من الرُّخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مَسجد من مَساجد يُذكر فيها الله إلا براءتُك تُتلى في آناءَ الليل والنهار.

عن أبي الضُّحى، عن مسروق قال: قلنا له: هل كانت عائشة تُحسِنُ الفرائضَ؟ قال: والله لقد رأيتُ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأكابر يَسألونَها عن الفرائض عن هشام، عن أبيه، قال: لقد صَحبتُ عائشَةَ، فما رأيتُ أحداً قطُّ كان أعلمَ بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسُنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب، منها، فقلتُ لها: يا خالة، الطبُّ من أين عُلِّمتِهِ؟ فقالت: كنتُ أمرضُ فيُنعَتُ لي الشيءُ، ويَمرضُ المريضُ فيُنعتُ له، وأسمعُ الناسَ يَنعَتُ بعضهم لبعض، فأحفظه.

وقال الزُّهري: لو جُمعَ علمُ عائشة إلى علم جميع النساء، لكان عِلم عائشة أفضل. وعن عطاء: أن معاويةَ بعث إلى عائشة بقِلادة بمئة ألف، فقسمتها بين أمهات المؤمنين. وعن عروة، عن عائشة أنها تصدقت بسبعين ألفاً، وإنها لترقَعُ جانِبَ درعها، رضي الله عنها.

عن أم ذرة، قالت: بعث ابنُ الزُبير إلى عائشة بمال في غِرارتين، يكون مئة ألف، فَدَعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست، قالت: هاتي ياجاريةُ فُطوري، فقالت أُمُّ ذَرَّة: يا أُمَّ المؤمنين أما استطعتِ أن تشتري لنا لحماً بدرهم؟ قالت: لا تُعنفيني، لو أذكرتيني لفعلت.

عن شعبة: أخبرنا عبدُ الرحمن بن القاسم، عن أبيه: أن عائشة كانت تَصُومُ الدهر.

تُوفيت سنة سبع وخمسين هجرية. ومدةُ عمرها: ثلاث وستون سنة وأشهر.

أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة[1]

أم سلمة، السيدة المحجبة، الطاهرة، هند بنت أبي أمية المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله، وبنت عم أبي جهل بن هشام. من المهاجرات الأول كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرَّضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح. دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة أربع من الهجرة. وكانت أجمل النساء، وأشرفهنَّ نسباً. وكانت آخر من مات من أمَّهات المؤمنين، عُمِّرت حتى بلغها مقتَلُ الحسين الشهيد، فوجَمَت لذلك، وغُشيَ عليها، وحَزِنَت عليه كثيراً، لم تلَبث بعدهُ إلا يَسيراً وانتقلت إلى الله.

ولها أولاد صحابيون: عَمر، وسَلَمَةُ، وزينبُ، ولها جملة أحاديث. عاشت نحواً من تسعين سنة. وأبوها: هو زادُ الركب، أحد الأجواد. قيل: اسمه حُذيفة. وكانت تُعَدُّ من فُقهاء الصحابيات.

عن زياد بن أبي مريم، قالت أُمُّ سلمة لأبي سلمة: بلغني أَنَّهُ ليس امرأةٌ يموت زوجُها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تَزَوَّج، إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أُعاهدك ألا تزوَّج بعدي ولا أتزوَّج بعدك، قال: أتُطيعينني؟ قالت: نعم، قال: إذا مِتُّ تزوَّجي، اللهم ارزُق أمَّ سلمة بعدي رجلاً خيراً

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 153)، الطبقات (8/ 90).

مني، لا يُحزنها، ولا يُؤذيها. فلما مات، قلت: من خيرٌ من أبي سلمة؟ فما لبثتُ، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الباب فذكر الخِطبة إلى ابن أخيها، أو ابنها، فقالت: أَرُدُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أتقدَّم عليه بعيالي، ثم جاء الغد فخطب.

عن ثابتٌ: حدثني عمر بنُ أبي سَلَمة عن أبيه: أنَّ أُمَّ سَلَمَة لما انقضت عِدَّتها، خَطبها أبو بكر، فردَّته، ثم عُمرُ، فردَّته. فبعث إليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقالت: مرحباً، أخبر رسول الله أني غَيرى، وأني مُصبيَة، وليس أحدٌ من أوليائي شاهداً، فبعث إليها: **(أما قولُك: إني مُصبيةٌ، فإنَّ الله سَيكفيكِ صِبيانَكِ، وأما قولُكِ إني غَيرى، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتَكِ، وأما الأولياء، فليس أحدٌ منهم إلا سيرضى بي)**. قالت: يا عُمرُ، قُم فزوج رسول الله. وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **(أما إني لا أنقُصُك مما أعطيت فُلانة. .)** الحديث.

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أيِّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاءِ عروساً، وقامت آخر الليل تَطحن. يعني: أم سلمة.

عن أُمِّ سلمة، قالت: لما تُوفي أبو سَلمة أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: كيف أقول؟ قال: **(قولي: اللهمَّ اغفِر لنا وَلَه، وأعقِبني منه عقبى صالحة)** فقلتها فأعقبني الله محمداً صلى الله عليه وسلم.

عن حذيفة أنه قال لامرأته: إن سَركِ أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإنَّ المرأة لآخرأزواجها في الدُّنيا، فلذلك حُرِّم على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يَنكحنَ بعده، لأنَّهنَّ أزواجه في الجنة.

وفاتها في سنة إحدى وستين هجرية، رضي الله عنها.

زينب بنت جحش[1]

أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رياب، وابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرات الأول.

كانت عند زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي يقول الله فيها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: من الآية37]. فزوجها الله بنبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد فكانت تفخرُ بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوَّجكنَّ أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه.

وكانت من سادة النساء، ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً، رضي الله عنها.

توفيت في سنة عشرين وصلى عليها عُمر.

وهي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (**أسرعكُن لحوقاً بي أطولُكن يَداً**) وإنما عني طولَ يدها بالمعروف.

روُي عن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش تُساميني في المنزلة عند

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 215)، الطبقات (8/ 108)، السمط الثمين للطبري: ص91.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رأيت امرأة خيراً في الدين من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة.

وعن بررة بنت رافع قالت: (لما جاء البطاء، بعث عمر إلى زينب رضي الله عنها بالذي لها، فلما دخل عليها، قالت: غفر الله لعمر، لغيري من اخواتي كان أقوىٰ على قسم هذا مني). قالوا: هذا كله لك، فقالت: سبحان الله !! واستترت دونه بثوب، وقالت صبوه واطرحوا عليه ثوباً فصبوه وطرحوا عليه، وقالت لي أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة، فاذهبي إلى فلان، وآل فلان، من أيتامها وذوي رحمها، فقسمته حتى بقيت منه بقية، فقالت لها بررة: غفر الله لك والله لقد كان لنا من هذا حظ، قالت: لكم ما تحت الثوب، فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا، قالت: فماتت رضى الله عنها.

قال محمد بن كعب: كان عطاء زينب اثني عشر ألف درهم حمل إليها فقسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة، حتى أتيت عليه، فيدع عمر فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف على بابها، وأرسل بالسلام وقال: (قد بلغني ما فوقه، فأرسل إليها بألف درهم لها لتنفقها، فسلكت بها طريق ذلك المال).

وقالت عائشة رضى الله عنها بعد موتها: (لقد ذهبت سيدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل).

عن عطاء، سمع عُبيد بن عُمير يقول: سمعتُ عائشة تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكثُ عند زينب بنت جحش، ويشربُ عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيَّتنا ما دخل عليها، فلتقُل: إني أجد منك ريحَ مغافير ! أكلتَ مغافيرَ ! وهو شراب له رائحة كريهة فدخل على إحداهما، فقالت له

ذلك، قال: بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له. فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾

(التحريم: من الآية1) إلى قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ (التحريم: من الآية 4) يعني حفصة، وعائشة، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ (التحريم: من الآية3) قوله: بل شربتُ عسلاً.

وكانت صناع اليد، فكانت تدبغ، وتخرز، وتصدَّق.

وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد: (اذكرها علي) قال: فانطلقت، فقلتُ لها: يا زينب أبشري، فإنَّ رسولَ الله أرسل يذكركِ. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن.

السيدة المحجبة
أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان[1]

وهي من بنات عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ليس من أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها.

عقد له صلى الله عليه وسلم عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مئة دينار، وجهزها بأشياء.

وقدمت دمشق زائرة أخاها، ويقال قبرها بدمشق، وهذا لا شيء بل قبرها بالمدينة، وإنما التي بمقبرة باب الصغير: أم سلمة أسماء بنت يزيد الأنصارية.

قال ابن سعد: ولد أبو سفيان: حنظلة المقتول يوم بدر، وأم حبيبة توفي عنها زوجها الذي هاجر بها إلى الحبشة عبيد الله بن رياب الأسدي مرتداً متنصراً. وقد كان لأم حبيبة حرمة وجلاله. ولا سيما في دولة أخيها، ولمكانه منها قيل له: خال المؤمنين. ماتت سنة أربع وأربعين هجرية، رضي الله عنها.

(1) الطبقات (8/ 99)، الاستيعاب (4/ 296)، أسد الغابة (6/ 115)، الإصابة (4/ 298).

صفية بنت حيي بن أخطب[1]
بنت نبي، وعمها نبي، وزوجة نبي

أم المؤمنين النضرية، بنت حيي بن أخطب بن سعية، من سبط اللاوي ابن نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام.

كانت مع أبيها وابن عمها أخطب بالمدينة، فلما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ساروا إلى خيبر، وقتل أبوها مع بني قريظة صبراً.

تزوجها قبل إسلامها: سلام بن أبي الحقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، كانا من شعراء اليهود، فقتل كنانة يوم خيبر عنها، وسبيت وصارت في سهم دحية الكلبي، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم جمالها، وأنها بنت ملكهم، وأنها لا ينبغي أن تكون إلا لك، فأخذها من دحية وعوضه عنها سبعة أرؤس، وأسلمت، وأعتقها وتزوجها، وكانت ماشطتها أم سليم، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما طهرت تزوجها وجعل عتقها صداقها.

ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخدها لطمة فقال: ما هذه؟ فقالت: إني رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حجري، فقصيت المنام

(1) الإصابة (8/ 126)، السيرة لابن هشام (3/ 350) نساء حول الرسول :ص93.

على ابن عمي فلطمني، وقال: تتمنين أن يتزوجك ملك يثرب، فهذه من لطمته.

وكانت شريفة عاقلة ذات حسب وجمال ودين، رضي الله عنها.

قال أبو عمر بن عبد البر: روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان قالت: اذهبي فأنت حرة.

توفيت سنة خمسين هجرية. وكانت ذات حلم ووقار. وقبرها بالبقيع.

ميمونة بنت الحارث الهلالية
آخر أمهات المؤمنين[1]

أم المؤمنين، بنت الحارث بن حزن الهلالية. زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة ابن عباس.

تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها. وتزوجها أبو رهم بن عبد العزى، فمات. فتزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم في وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع في ذي القعدة. وبنى بها بسَرِف - أظنه المكان المعروف بأبي عُروة- وكانت من سادات النساء، وروت عدة أحاديث.

قال مجاهد: كان اسمها بَرَّة، فسماها رسول الله: ميمونة.

عن يزيد بن الأصم: أن ميمونة حلقت رأسها في إحرامها، فماتت ورأسها محمّم أي: مُسود بسبب نبات الشعر بعد الحلق، وفي حديث أنس: كان إذا حمّم رأسه بمكة خرج واعتمر، أي اسود بعد الحلق بنبات

(1) الطبقات الكبرى (8/ 132)، الاستيعاب (4/ 391)، الإصابة (4/ 397).

الشعر. ولعل ميمونة لم يبلغها رضي الله عنها أن المرأة لا تحلق رأسها في الحج بل تقصر.

وقال خليفة: توفيت سنة إحدى وخمسين هجرية. رضي الله عنها.

الكريمة المهاجرة
سودة بنت زمعة[1]

سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية.

وهي أول من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل بعائشة.

وكانت سيدةً جليلة نبيلة ضخمة، وكانت أولاً عند السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو العامري، ولها منه خمسة صبيان.

وهي التي وهبت يومها لعائشة، رعاية لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت قد فَرِكَتْ [أي: قلّ ميلها للرجال] رضي الله عنها.

عن عائشة، قالت: ما رأيت امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة وعن إبراهيم، قالت سودة: يارسول الله، صلّيت خلفك البارحة، فركعت بي، حتى أمسكتُ بأنفي مخافة أن يقطر الدَّم. فضحك. وكانت تُضحكه الأحيان بالشيء.

وقالت عائشة: استأذنت سودة ليلة المزدلفة، أن تدفع قبل حَطمة الناس-

(1) الإصابة (4/ 330)، الاستيعاب (4/ 317)، سير أعلام النبلاء (2/ 265).

وكانت امرأة ثبطة- أي ثقيلة فأذن لها.

وحجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وتوفيت في أواخر خلافة عمر.

جويرية بنت الحارث المصطلقية[1]

أُمُّ المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المُصطلقية.

سُبيت يوم غزوة المُريسيع في السنة الخامسة للهجرة وكان اسمها: بَرَّة، فغُيِّر. وكانت من أجمل النساء.

وكان أبوها سيداً مطاعاً. وقد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم.

قال ابن سعد وغيره: بنو المصطلق من خزاعة. وكان زوجها، قبل أن يسلم، ابن عمها مسافع بن صفوان بن أبي الشُّفر.

وعن جويرية، قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا بنت عشرين سنة.

وعن عائشة، قالت: لما قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية في سهم رجل، فكاتبته، وكانت حُلوةً مُلاّحةً، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه. فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه، فكرهتها [يعني: لحُسنها] فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث،

(1) الطبقات الكبرى (8/ 116)، الاستيعاب (4/ 251)، الإصابة (4/ 257)، سير أعلام النبلاء (2/ 261).

سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت، فأعني. فقال: (أو خير من ذلك: أؤدي عنك، وأتزوجك)؟ فقالت: نعم. ففعل. فبلغ الناس، فقالوا: أصهار رسول الله !فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق. فلقد أُعتق بها مئة أهل بيت فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

وعن جُويرية بنت الحارث: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال لها: (أصمت أمس)؟ قالت: لا. قال: (أتريدين أن تصومي غداً)؟ قالت: لا. قال: فأفطري.

وعن جويرية، قالت: أتى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوةً وأنا أسبح، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريباً من نصف النهار، فقال: (أما زلت قاعدة)؟ قلت: نعم. قال: (**ألا أعلمك كلمات لو عُدلن بهن عدلتهن، أو وزن بهن وزنتهن [يعني: جميع ما سبحت]: سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات**).

توفيت أم المؤمنين جُويرية في سنة خمسين هجرية. رضي الله عنها.

رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم(1)

قال ابن سعد: تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة. كذا قال، وصوابه: قبل الهجرة. فلما أنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ قال أبوه: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق بنتهم. ففارقها قبل الدخول. وأسلمت مع أمها، وأخواتها، ثم تزوجها عثمان. قال ابن سعد: هاجرت معه إلى الحبشة، الهجرتين معاً.

وولدت من عثمان عبد الله، وبه كان يكنى، وبلغ ست سنين، فنقره ديك في وجهه، فطمر وجهه[يعني: ورم]، فمات.

ثم هاجرت إلى المدينة بعد عثمان، ومرضت قبيل بدر، فخلَّف النبي صلى الله عليه وسلم عليها عثمان، فتوفيت، والمسلمون ببدر.

---

(1) الطبقات (8/ 36)، الاستيعاب (4/ 292)، الإصابة (4/ 297)، سير أعلام النبلاء (2/ 250).

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

سيدة نساء العالمين في زمانها . البضعة النبوية، والجهة المصطفوية، أم أبيها [هذه كنيتها]، بنت سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، القرشية الهاشمية، وأم الحسن والحسين.

مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة، أو قبيله من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها ويكرمها ويسر إليها، ومناقبها غزيرة. وكانت صابرة ديّنة خيرة صيّنة شاكرة لله. وقد غضب لها النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أبا الحسن هم بما رآه سائغاً من خطبة بنت أبي جهل، فقال: **(والله لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله، وإنما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها)** فترك علي الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها ولا تسرى، فلما توفيت تزوج وتسرى، رضي الله عنهما.

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه، وبكته، وقالت: يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه.

وقالت بعد دفنه: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على

---

(1) الطبقات الكبرى(8/ 19)، حلية الأولياء (2/ 39)، الاستيعاب (4/ 363)، الإصابة (4/ 365).

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قال لها في مرضه: إني مقبوض في مرضي هذا. فبكت. وأخبرها أنها أول أهله لحوقاً به، وأنها سيدة نساء هذه الأمة. فضحكت، وكتمت ذلك. فلما توفي صلى الله عليه وسلم سألتها عائشة، فحدثتها بما أسر إليها.

وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام إليها وقال: (**مرحباً بابنتي**).

توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر أو نحوها. وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة.

وقد انقطع نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلا من فاطمة.

وصحّ أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل فاطمة وزوجها وابنيهما بكساء، وقال: (**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً**).

عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لايبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار**).

وكان لها من البنات: أم كلثوم، زوجة عمر بن الخطاب، وزينب، زوجة عبد الله بن جعفر بي أبي طالب.

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به.

وعن عائشة قالت: عاشت فاطمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، ودفنت ليلاً. قال الواقدي: هذا أثبت الأقوال عندنا. وقال: صلى عليها العباس، ونزل في حفرتها هو، وعلي والفضل.

أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

يقال: تزوجها عتيبة بن أبي لهب، ثم فارقها.

وأسلمت، وهاجرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

لما توفيت أختها رقية عرض عمر على عثمان أن يزوجه ابنته حفصة فرفض عثمان، حزناً على رقية، فذهب عمر يشكوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: **(يزوجه الله خيراً منها، ويزوجها الله خيراً منه)**، وقد كان، فتزوج عثمان أم كلثوم، وتزوج حفصةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تزوج عثمان أم كلثوم وهي بكر، في ربيع الأول سنة ثلاث هجرية، فلم تلد له.

وتوفيت في شعبان سنة تسع هجرية. رضي الله عنها.

---

(1) الطبقات الكبرى (8/ 37)، الاستيعاب (4/ 463)، الإصابة (4/ 466).

أم أيمن بركة الحبشية[1]

الحبشية، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاضنته. ورثها من أبيه، ثم أعتقها عندما تزوج بخديجة. وكانت من المهاجرات الأول.

اسمها: بركة. وقد تزوجها عبيد بن الحارث الخزرجي فولدت له: أيمن. ولأيمن هجرة وجهاد، استشهد يوم حنين.

ثم تزوجها زيد بن حارثة ليالي بعث النبي صلى الله عليه وسلم فولدت له أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن بركتها وكرامتها: خرجت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وهي ماشيه ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد، حتى كادت تموت من شدة العطش، قال: وهي بالروحاء[2] أو قريباً منها. قالت: فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي فرفعت

(1) الطبقات الكبرى (1/ 119)، سير أعلام النبلاء (2/ 224)، حلية الأولياء (2/ 68)، أسد الغابة (6/ 304).

(2) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة المنورة.

رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء[1] أبيض. قالت: فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها.

عن أنس قال: إن أم أيمن بكت حين مات النبي صلى الله عليه وسلم. قيل لها: أتبكين؟ قال: والله لقد علمت أنه سيموت، ولكني أبكي على الوحي إذ انقطع عنا من السماء.

وعن طارق قال: لما قتل عمر بكت أم أيمن وقالت: اليوم وَهَى الإسلام.

قال الواقدي: ماتت في خلافة عثمان.

(1) الرشاء : الحبل.

أسماء بنت أبي بكر(1)

أم عبد الله. القرشية، التيمية، المكية، ثم المدنية.

والدة الخليفة عبد الله بن الزبير، وأخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاة.

روت عدة أحاديث، وعمرت دهراً، وتعرف بذات النطاقين.

وكانت أسن من عائشة بعشر سنين.

هاجرت حاملاً بعبد الله. وقيل: لم يسقط لها سن.

وشهدت اليرموك مع ابنها وزوجها الزبير.

وهي، وأبوها، وجدها، وابنها ابن الزبير: أربعتهم صحابيون.

عن أسماء قالت: صنعت سفرة النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي حين أراد أن يهاجر، فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطهما، فقلت لأبي: ما أجد إلا نطاقي، قال: شقيه باثنين فاربطي بهما، قال: فلذلك سميت ذات النطاقين.

وعن أسماء قالت: لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حمل أبو بكر معه جميع ماله، خمسة آلاف أو ستة آلاف، فأتاني جدي أبو قحافة، وقد عمي، فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه، فقلت: كلا، قد ترك لنا خيراً كثيراً.

---

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 289)، الاستيعاب (4/ 1781)، الإصابة (4/ 229)، حلية الأولياء (2/ 55).

فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوة البيت، وغطيت عليها بثوب، ثم أخذت بيده ووضعتها على الثوب فقلت: هذا تركه لنا، فقال: أما إذ ترك لكم هذا فنعم.

وروى عروة عنها قالت: تزوجني الزبير وما له شيء غير فرسه، فكنت أسوسه، وأعلفه، وأدق لناضحه النوى، وأستقي، وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي - وهي على ثلثي فرسخ - فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر فدعاني فقال: إخّ، إخّ، ليحملني خلفه، فاستحييت، وذكرت الزبير وغيرته. قالت: فمضى. فلما أتيت أخبرت الزبير فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد بخادم فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

وفي الصحيح: قالت أسماء: يارسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: نعم، صلي أمك.

وعن هشام بن عروة: أن الزبير طلق أسماء، فأخذ عروة، وهو يومئذ صغير.

عن القاسم بن محمد: سمعت ابن الزبير يقول: ما رأيت امرأة أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد.

وعن منصور بن صفية عن أمه قالت: قيل لابن عمر: إن أسماء في ناحية. المسجد، وذلك حين صلب ابن الزبير، فمال إليها، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله، فاتقي الله واصبري فقالت: وما يمنعني، وقد أهدي رأس زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

قال ابن سعد: ماتت بعد ابنها بلیال. وكان قتله لسبع خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين هجرية.

دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما فقال: يا أمه خذلني الناس، حتى أهلي وولدي، ولم يبق معي إلا اليسير، ومن دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: الله الله يا بني إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أميه فيلعبوا بك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك، وإن قلت: إني على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي، فليس هذا فعل الأحرار، ومن فيه خير، كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا بن الزبير، والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بالسوط في ذل.

فقال: يا أماه، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني.

قالت: يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح فامض على بصيرتك، واستعن بالله فقبل رأسها وقال لها: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعياً إلى الله، والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تنتهك محارمه، ولكني أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي، والله ما تعمدت إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة، ولم أجر في حكم، ولم أغدر في أمان، ولم يبلغني عن عمالي حيف فرضيت به، بل أنكرت ذلك، ولم يكن عندي شئ آثر من رضاء ربي، اللهم أني لا أقول ذلك تزكية لنفسي، ولكن أقول تعزية لأمي لتسلو عني.

فقالت: والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً، إن تقدمتني أحتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك، أخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك. ثم قالت: اللهم أرحم طول القيام بالليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر

مكة والمدينة، وبره بأمه، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك، ورضيت فيه بقضائك، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين. قال: يا أمي لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده.

فقالت: لن أدعه، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، فتناول يدها ليقبلها فقالت: هذا وداع فلا تبعد، فقال لها: جئت مودعاً لأني أرى هنا آخر أيامي من الدنيا، قالت امض على بصيرتك، وادن مني حتى أودعك. فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع. فقالت، ما هذا صنيع من يريد ما تريد. فقال: ما لبستها إلا لأشد متنك قالت: إنها لا تشد متني، فنزعها ثم درج لمته وشد قميصه وجبته وخرج وهو يقول:

أبى لابن سلمى أن يعتر خالداً ملاقي المنايا أي صرف تيمما
فلست بمبتاع الحياة بسبه ولا مرتق من خشية الموت سلما

وقال لأصحابه: احملوا على بركه الله، وليشغل كل منكم رجلاً، ولا يلهينكم السؤال عني فإني على الرعيل الأول، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون، وهناك رماه رجل من أهل الشام بحجر فأصاب وجهه، فأخذته منه رعدة، فدخل شعباً من شعاب مكة يستدمي فبصرت به مولاة له.

فقالت: أمير المؤمنين فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك فقتلوه، وصلبه الحجاج فأقام جثمانه على الجذع، حتى إذا أمر عبد الملك بإنزاله أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه، وذهب البلى بأوصاله، ثم كفنته وصلت عليه ودفنته.

وعن أبي الصديق الناجي: أن الحجاج دخل على أسماء فقال: إن ابنك ألحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم. قالت: كذبت، كان براً بوالدته، صوّاماً قوّاماً، ولكن قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه: سيخرج من ثقيف كذابان: الآخر منهما شر من الأول، وهو مبير).

بلغت من العمر مائة سنة، ولم ينكر لها عقل، رضي الله عنها.

شهيدة البحر[1]

أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد

أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، وزوجة عبادة بن الصامت. كانت من علية النساء.

عن أنس قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما هو إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام، فقال: (**قوموا فلأصل بكم**) فصلى بنا في غير وقت صلاة.

وعن أنس قال: حدثتني أم حرام بنت ملحان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ ـ من القيلولة ـ في بيتها يوماً، فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما أضحكك؟ قال: (**عرض علي ناس من أمتي، يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة**) قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (**أنت من الأولين**). فتزوجها عبادة بن الصامت، فغزا بها في البحر فحملها معه، فلما رجعوا قربت لها بغلة لتركبها، فصرعتها فدقت عنقها فماتت، رضي الله عنها.

(1) الطبقات الكبرى (8/ 434)، الاستيعاب (4/ 1931)، سير أعلام النبلاء (2/ 316).

آمنة بنت وهب[1]

ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وأمها: كِبَرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

نشأت في أسرة عريقة النسب، مشهود لها بالشرف والأدب، وكانت تتسم بالنباهة والبيان، وتعرف بالذكاء وطلاقة اللسان، فهي أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانة.

كان عبد المطلب سيد قريش وجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد نذر لله أن إذا رزقه الله عشرة من الذكور لينحرن أحدهم شكراً لله وتقرباً إليه. وتحقق المرام، وصار لعبد المطلب عشرة ذكور، وبادر إلى تنفيذ نذره، فأقرع بين أولاده ليعلم أيهم سينحر. وخرج القدح على (عبد الله)، أحبهم إليه، فما العمل؟

لقد أشار عليه وجوه القوم أن يفديه بعشرة من الإبل، وقدم الإبل ثم أقرع بينها وبين ولده، فخرج سهم (عبد الله)، فقالوا لعبد المطلب: زدها عشراً ثم اقرع، ففعل، فخرج سهم (عبد الله)، وظل يزيد في كل مرة عشراً من الإبل

---

(1) سيرة ابن هشام (1/ 156)، الروض الأنف(1/ 166)، الطبقات (1/ 53)، عيون الأثر (1/ 24).

حتى بلغت المائة، وعندما أقرع بينها وبين ولده، وقعت القرعة على الإبل، فسرّ عبد المطلب لذلك سروراً عظيماً ونحر الإبل المائة فداء ولده، وعمت الفرحة قريشاً بنجاة ابن سيدهم عبد المطلب.

تزوج عبد الله آمنة بنت وهب، وفي أول ليلة جمعتهما رأت آمنة أنها رأت شعاعاً من النور خرج منها فأضاء الدنيا من حولها حتى تراءت لها قصور بصرى في الشام وسمعت هاتفاً يقول لها: يا آمنة لقد حملت بسيد هذه الأمة.

وبعد أيام سافر زوجها في تجارة إلى الشام وتوفي في رحلته تلك.

ولما جاءها المخاض رأت نوراً ساطعاً خرج منها وملأ ما حولها ولفها مع وليدها، ولما عرضت عليه ثديها لترضعه أبى فأرسلته إلى البادية ليتم رضاعه، وعاد إليها بعد عامين، فربته حتى بلغ السادسة من العمر.

وبينما كانت عائدة من زيارة قبر عبد المطلب وأخواله بني عدي بني النجار أدركها المرض وتوفيت في الأبواء بين مكة والمدينة.

أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب[1]

شقيقة الحسن والحسين، ولدت في حدود سنة ست من الهجرة، ورأت النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ترو عنه شيئًا.

خطبها عمر بن الخطاب وهي صغيرة، فقيل له: ما تريد إليها؟ قال:إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**). وروى عبد الله بن أسلم بن أسلم عن جده أن عمر تزوجها فأصدقها أربعين ألفاً.

قال أبو عمر بن عبد البر: قال عمر لعلي: زوجنيها أبا الحسن فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصد أحد، قال: فأنا أبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوجتها-يعتل بصغرها-، قال: فبعثها إليه ببرد وقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك، فقالت له ذلك، فقال قولي له: قد رضيت رضي الله عنك، ووضع يده على ساقها فكشفها، فقالت: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم مضت إلى أبيها فأخبرته وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء! قال: يا بنية إنه زوجك.

ونقل الزهري وغيره: أنها ولدت لعمر زيداً، وقيل: ولدت رقية.

(1) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين :ص133.

قال ابن إسحاق: توفي عنها عمر، فتزوجها عون بن جعفر بن أبي طالب ثم مات عنها. قال ابن إسحاق: فزوجها أبوها بمحمد بن جعفر فمات، ثم زوجها أبوها بعبد الله بن جعفر فماتت عنده.

قلت: فلم يولدها أحد من الإخوة الثلاثة.

يقال: وقعت هوسة بالليل، فركب زيد فيها فأصابه حجر فمات منه، وذلك في أوائل دولة معاوية رحمه الله.

أم الدرداء الصغرى[1]

السيدة العالمة الفقيهة، هجيمة، وقيل: جهيمة، الأوصابية الحميرية الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى. تابعية، عرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء. وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد.

قال ابن جابر وعثمان بن أبي العاتكة: كانت أم الدرداء يتيمة في حجر أبي الدرداء تختلف معه في برنس، تصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق القراء تعلم القرآن، حتى قال لها أبو الدرداء يوماً: الحقي بصفوف النساء.

وعن جبير بن نفير عن أم الدرداء، أنها قالت لأبي الدرداء عند الموت: (إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا، فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة، قال: (فلا تنكحين بعدي، فخطبها معاوية إلى نفسه، فأخبرته بالذي كان، فقال: عليك بالصيام).

قال مكحول: كانت أم الدرداء فقيهة. وقال عون بن عبد الله: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها، وقال يونس بن ميسرة، كان النساء يتعبدن مع أم الدرداء رضي الله عنها، فإذا ضعفن عن القيام تعلقن بالحبال. قال إسماعيل بن

(1) سير أعلام النبلاء (4/ 507-508).

عبيد الله، كان عبد الملك بن مروان جالساً في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء معه جالسة، حتى إذا نودي للمغرب قام، وقامت تتوكأ على عبد الملك حتى يدخل بها المسجد فتجلس مع النساء ويمضي عبد الملك إلى المقام يصلي بالناس.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أم الدرداء الصغرى تابعية عابدة عالمة فقيهة، كان الرجال يقرؤون عليها، ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة، يشتغل عليها وهو خليفة رضي الله عنها.

وعن عون بن عبد الله قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها.

وقال يونس بن ميسرة: كن النساء يتعبدن مع أم الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام تعلقن بالحبال. كان الرجال يقرؤون عليها، ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة.

وقال عثمان بن حيان: سمعت أم الدرداء تقول: إن أحدهم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن الله لا يمطر ذهباً ولا دراهم، وإنما يرزق الله بعضهم من بعض، فمن أعطي شيئاً فليقبل، فإن كان غنياً فليضعه في ذي الحاجة وإن كان فقيراً فليستعن به.

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله(1)

ابنة أم كلثوم أخت أم المؤمنين عائشة.

تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن الصديق.

ثم تزوجت بعده أمير العراق مصعب بن الزبير، فأصدقها مصعب مئة ألف دينار.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وابن الزبير وابن عمر، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وقال عبد الله ابن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا كلهم ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر الله له.

قيل: كانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن.

لما قتل زوجها مصعب بن الزبير تزوجها عمر بن عبيد الله التيمي فأصدقها ألف ألف درهم.

وفدت على هشام بن عبد الملك فاحترمها ووصلها بجملة كبيرة.

---

(1) سير أعلام النبلاء (4/ 361)، نساء من عصر التابعين (1/ 15).

عن إبراهيم أن عائشة بنت طلحة قالت: إن تزوجت مصعباً فهو عليها كظهر أمها، فتزوجته، فسألت عن ذلك فأمرت أن تكفر، فأعتقت غلاماً لها ثمن ألفين.

بقيت إلى قريب من سن عشر ومئة بالمدينة.

حفصة بنت سيرين[1]

أم الهذيل، الفقيهة، الأنصارية.

روي عن إياس بن معاوية قال: ما أدركت أحداً أفضله عليها.

وقال: قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وعاشت سبعين سنة، فذكروا له الحسن وابن سيرين فقال: أما أنا فما أفضل عليها أحداً.

قال مهدي بن ميمون: مكثت حفصة بن سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة أو قضاء حاجة.

كانت حفصة بنت سيرين تدخل في مسجدها، فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم لا تزال فيه حتى ترتفع النهار وتركع ثم تخرج، فيكون عند ذلك وضوءها ونومها، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها.

واشترت حفصة جارية من السند فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكرت كلاماً بالفارسيه، تفسيره: إنها امرأة صالحة، إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً، فهي

(1) السير (4/ 507)، صفة الصفوة (4/ 25).

تقوم الليل كله تبكي وتصلي. وكانت حفصه تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح.

قلت: توفيت بعد المئة.

حليمة السعدية[1]

بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر. . . بن سعد بن بكر بن هوازن.

وكان زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان. . . بن سعد بن بكر بن هوازن.

بعد ثمانية أيام مضت على مولد النبي صلى الله عليه وسلم أخذته حليمة لرحلها، تقول حليمة: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل. . . ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم. . . ثم قدمنا منازلنا من بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم أسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً.

(1) السيرة لابن هشام (1/ 162)، تاريخ الإسلام (1/ 46)، الطبقات الكبرى (1/ 113).

وبعد أن أرضعته عامين أعادته إلى أمه وطلبت منها أن تتركه عندها حتى يغلظ، فوافقت أمه، وبعد أشهر أعادته إلى أمه بعد قصة شق الصدر.

عندما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من غزوة الطائف، ومعه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، أتاه وفد من هوازن ممن أسلموا وقال قائلهم: يا رسول الله ! إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وخواصك، فقال لوفد هوازن: (**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقولوا، : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله، في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم**)، فلما صلى الظهر قام رجال هوازن وتكلموا بالذي أمرهم به رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم: (**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**)، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فردوا لهوازن أبناءهم ونساءهم، وذلك اعترافاً منه صلى الله عليه وسلم بما لأمه من الرضاعة عليه من الفضل، وتقديراً لها.

روى أبو داود في سننه عن أبي الطفيل بن عامر بن واثلة الكناني قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً بالجعرانة، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور، إذ أقبلت امرأة دنت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هي؟ فقالوا: هذه أمه التي أرضعته).

أم الشهيدين فاطمة بنت أسد[1]

القرشية الهاشمية.

والدها: أسد بن هاشم بن عبد مناف.

زوجها عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو طالب، وهي أم ربيب النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأم إخوته: طالب وعقيل وجعفر، وأم هانئ وجمانة وريطة، وكلهم أبناء أبي طالب.

لما كفل أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه أشرفت فاطمة على تربيته وبعد وفاة أبي طالب شرح الله صدرها للإسلام فبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهاجرت إلى المدينة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر زيارتها، ويقيل في بيتها.

فرحت فاطمة بزواج ابنها علي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاشت مع ابنها علي وزوجه في الدار، وقال علي لأمه: لو كفيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وكفتك في الداخل الطحن والعجن؟ فتراضوا على ذلك.

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 118)، البداية والنهاية (7/ 349).

توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، قال علي بن أبي طالب لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه، وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وكان قد جثا في قبرها.

وفي رواية: أنه اضطجع معها في قبرها.

ولما ذهب اقترب منه عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله ! رأيتك تفعل لهذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد من قبل، فقال صلى الله عليه وسلم: **(يا عمر، إن هذه المرأة كانت بمنزلة أمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود به)**.

وفي رواية: لما سئل عن سر صنيعه بقبرها قال: **(إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها ! إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر)**.

مارية القبطية(1)

بنت شمعون رضي الله عنها.

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام، وكان حاطب بن بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، فكان رد المقوقس على الرسالة: أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت من ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وبكسوة، ومطية لتركبها، والسلام عليك.

وعاد حاطب إلى المدينة بكتاب المقوقس، مصطحباً معه مارية، وأختها سيرين، وعبداً خصياً يدعى (مابور)، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً ليناً من نسيج مصر، وبغلة شهباء اسمها (دلدل)، وجانباً من عسل (بنها)، وبعض العود والمسك والند.

اصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه مارية، ووهب أختها سيرين لشاعره حسان، ووزع باقي الهدايا، وأنزل مارية في العالية، في مشربة أم إبراهيم.

---

(1) الاستيعاب (4/ 396)، الإصابة (4/ 391)، السمط الثمين : ص162.

أسلمت مارية وأختها سيرين، وضرب عليها الحجاب، ولم يكن لها هم إلا إرضاء سيدها صلى الله عليه وسلم.

وغدا تردد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العالية حيث تقيم مارية ومكوثه الطويل لديها يثير غيرة نسائه.

وزفت مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها حامل، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتهم المنافقون مارية في طهارتها، وقالوا: علج يدخل على علجة، والمقصود (مابور)، فاستدعى النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، روى البزار عن علي قال: كثر على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها، كان يزورها ويختلف إليها، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(خذ هذا السيف فانطلق به، فإن وجدته عندها فاقتله)**، قال: قلت: يا رسول الله، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة للمحمّاة، لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: **(بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب)**، فأقبلت متوشحاً السيف فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلما رآني أقبلت نحوه عرف أني أريده، فأتى نخلة فرقي، ثم رمى بنفسه على قفاه، ثم شغر برجله، فإذا هو أجب أمسح، ما له قليل ولا كثير، فغمدت السيف، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: **(الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت)**.

وروى البزار عن أنس قال: لما ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية جاريته، وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى أتاه جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

وقال قائل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلق إلى مولاته، فقال

صلى الله عليه وسلم: **(أعتقها ولدها)**.

ولما بلغ إبراهيم من العمر سنتين مرض مرضاً شديداً فأرسلت مارية إلى أبيه حتى يراه، يقول أنس: لقد رأيته- أي إبراهيم- وهو يكيد نفسه، وهو في النزع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **(تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا مايرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون)**.

وودعت مارية وحيدها وهي تردد: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وعاشت مارية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس سنوات، ففي سنة ست عشرة للهجرة، وفي خلافة عمر بن الخطاب أسلمت أم إبراهيم روحها إلى بارئها، فحشد الناس لجنازتها، ثم صلي عليها، ودفنها بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

ريحانة بنت زيد[1]

بنت عمرو بن خناقة، من بني النضير، وقيل: من بني قريظة.

لها زوج منهم يقال له: الحكم، توفي عنها وهي في ملكه، وكان محباً لها ومكرماً، فقالت: لا أستخلف بعده أبداً.

وقعت ريحانة في سبي النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزو بني قريظة، وكانت ذات جمال، فاصطفاها لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية، فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى ابن سعية وأخبره خبرها، فقال ابن سعية: فداك أبي وأمي هي تسلم، وخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءها، وقال لها: لا تتبعي قومك، فلقد رأيت ما أدخل عليهم حيي بن أخطب، فأسلمي يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، وجعل يشرح لها الإسلام حتى وافقت ودخلت في الإسلام. وانقلب ابن سعية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشرى، وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه سمع وقع نعلين فقال: (**إن هاتين لنعلا ابن سعية يبشرني بإسلام ريحانة**)، وجاء ابن سعية فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، وأمر بإرسالها إلى بيت أم المنذر بن

(1) الطبقات الكبرى (8/ 129)، الاستيعاب (4/ 302)، الإصابة (4/ 302).

قيس، فجلست عندها ريحانة حتى حاضت وطهرت من حيضها.

ثم جاءها الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أم المنذر وقال لها: (**إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطؤك بالملك فعلت**)، واختارت أن يطأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك اليمين، فأجابها لذلك.

وفي رواية قالت ريحانة: . . . ثم دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجنبت منه حياء فدعاني فأجلسني بين يديه، فقال: (إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه)، فقلت: إني أختار الله ورسوله. فلما أسلمت أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشاً، كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب عليّ الحجاب.

وعن الزهري قال: كانت أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها، فكانت تحتجب في أهلها، وتقول: لا يراني أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معجباً بها، وكانت لا تسأله شيئاً إلا أعطاها ذلك، فقيل لها: لو كنت سألته بني قريظة لأعتقهم، فقال: لم يخل بي حتى فرّق السبي.

وروي أنها غارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة، فأكثرت البكاء، فدخل عليها وهي على تلك الحالة فراجعها.

ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة سنة عشر هجرية.

وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة، فدفنها بالبقيع.

أروى بنت عبد المطلب[1]

القرشية، الهاشمية.

عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخت والده عبد الله بن عبد المطلب، وأم المجاهد طليب بن عمير.

كان زوجها في الجاهلية عمير بن وهب بن عبد مناف، فولدت له طليباً، ثم تزوجت بعد وفاته من أرطأة بن شرحبيل بن هاشم فولدت له فاطمة.

أسلم طُليب قبل أمه بفترة بسيطة في دار الأرقم.

وحين تعرض أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم وآذاه عمد طليب إلى أبي جهل فضربه وشجه، فأخذوه وأوثقوه، فقام دونه أبو لهب وهو أخو أروى لأمه حتى خلوه فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليباً قد صير نفسه غرضاً دون محمد؟ فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله، وقد جاء بالحق من عند الله، فقالوا لها: وهل تبعت محمداً؟ قالت: نعم.

فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبروه، فأقبل حتى دخل عليها فقال: عجباً لك ولاتباعك محمداً وتركك دين عبد المطلب، فقالت: قد كان ذلك، فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه، فإن يظهر فأنت بالخيار أن تدخل معه أو

(1) أعلام النساء (32/1)، نساء الصحابة :ص164.

تكون على دينك، وإن يصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك. فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة، جاء بدين محدث، فأبى أن يسلم.

وروي أن طليباً أسلم في دار الأرقم بن الأرقم، ثم خرج فدخل على أمه أروى فقال: تبعت محمداً صلى الله عليه وسلم، وأسلمت لله.

فقالت له أمه: إن أحق من وزرت وعضدت ابن خالتك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه.

فقال طليب: فما يمنعك يا أمي أن تسلمي وتتبعيه؟ فقد أسلم أخوك حمزة.

فقالت له: انظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن. فقال طليب: فإني أسألك بالله تعالى إلا أتيته، فسلمت عليه وصدقته، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ذكر الذهبي أنه لم يسمع لها بعد إسلامها في مكة ذكر، ولا وجد لها رواية.

توفيت في السنة الخامسة عشرة للهجرة.

رابعة العدوية[1]

البصرية، الزاهدة، الخاشعة، العابدة المشهورة.

أم عمرو، رابعة بنت إسماعيل، مولاة آل عتيك.

قال خالد بن خداش: سمعت رابعة صالحاً المريّ يذكر الدنيا في قصصه فنادته: يا صالح، من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

عن بشر بن صالح العتكي قال: استأذن ناس على رابعة ومعهم سفيان الثوري، فتذاكروا عندها ساعة، وذكروا شيئاً من الدنيا، فلما قاموا قال لخادمتها: إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه فلا تأذني لهم، فإني رأيتهم يحبون الدنيا.

عن عبيس بن مميون العطار، حدثتني عبدة بنت أبي شوال، وكانت تخدم رابعة العدوية قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر فكنت أسمعها تقول: يا نفس كم تنامين، وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور.

وقال جعفر بن سليمان: دخلت مع الثوري على رابعة، فقال سفيان:

---

(1) إحياء علوم الدين (2/ 267)، الرسالة القشيرية :ص86، قوت القلوب (1/ 103)، الطبقات الكبرى للشعراني:ص56، سير أعلام النبلاء (8/ 241).

واحزناه فقالت: لا تكذب، قل: واقلة حزناه.

قال ابن كثير: أثنى عليها أكثر الناس، وتكلم فيها أبو داود السجستاني، واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر.

وقال ابن كثير أيضاً: وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة، وصيام نهار وقيام ليل، ورئيت لها منامات صالحة، فالله أعلم.

قال أبو سعيد الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحث جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قال الذهبي: فهذا غلو وجهل، ولعل من نسبها إلى ذلك مباحيّ حلوليٌّ ليحتج بها على كفره كاحتجاجهم بخبر: (كنت سمعه الذي يسمع به).

قال عبد الله بن عيسى: دخلت على رابعة العدويّة بيتها، فرأيت على وجهها النور، وكانت كثيرة البكاء، فقرأ رجل آية من القرآن فيها ذكر النار، فصاحت ثم سقطت.

قال: ودخلت عليها، وهي جالسة على قطعة بورى[1] خَلَق، فتكلم رجل عندها بشيء، فجعلتُ أسمع وقع دموعها على البورى مثل الوكف[2]، ثم

(1) البوري : الحصير.

(2) الوكف : المطر.

اضطربت، وصاحت، وقمنا وخرجنا.

قال مسمع بن عاصم ورباح القليبي: شهدنا رابعه وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً، فقال لها: تستعين بها على بعض حوائجك. فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أني أستحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها.

قال جعفر بن سليمان: أخذ بيدي سفيان الثوري، وقال: مر بنا إلى المؤدبه التى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها (يعني رابعه) فلما دخلنا عليها، رفع سفيان يده وقال: اللهم إني أسألك السلامة، فبكت رابعه، فقال لها ما يبكيك؟ قالت: أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها، فكيف وأنت متلطخ بها؟

وقال النووي بين يدي رابعة، واحزناه، فقالت: لا تكذب، قل: واقلة حزناه، لو كنت محزوناً ما هناك العيش.

وقالت لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل.

قالت خادمتها: كانت رابعة تصلي الليل، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، وكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟

يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور، فلما حضرتها الوفاة قالت: لا تؤذني أحد بموتي، وكفنيني في جبتي هذه، جبة من شعر كانت تقوم فيها فكفناها في تلك الجبه وخمار من صوف، فرأيتها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر، فقلت: يا رابعة ما

فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف، قالت إنه نزع عني، وأبدلت به هذا وطويت أكفاني، وختم عليها ورفعت في عليين، ليكمل لي ثوابها يوم القيامة، قلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ قالت: وما هذا إلا من كرامة الله تعالى لأوليائه.

قلت ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب؟ قالت: هيهات؟ سبقتنا والله إلى الدرجات العلا، قلت وبم؟ وقد كنت عند الناس (أي أكبر منها) قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست.

قلت: ما فعل أبو مالك (يعني: ضغيماً) قالت: يزور الله عز وجل متى شاء.

قلت فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل ـ قالت: عليك بكثرة ذكره.

توفيت بالقدس الشريف، سنة ثمانين ومائة، وقبرها شرقيه بالطور.

معاذة بنت عبد الله[1]

السيدة العالمة. أم الصهباء، العدوية، البصرية، العابدة. زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم.

لما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً، فقام يصلي فقامت تصلي معه، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح، قال: فأتيته فقلت له: أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقمت تصلي وتركتها؟ قال: إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة، فلم تزل فكرتي فيهما حتى أصبحت.

البيت الذي أذكره به النار هو الحمام، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس.

بلغنا أنها كانت تحيي الليل عبادة، وتقول: عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور.

ولما استشهد زوجها صلة وابنها في بعض الحروب، اجتمع النساء عندها، فقالت: مرحباً بكن إن كنتن جئتن للهناء، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

(1) صفة الصفوة (4/ 22).

وكانت تقول: والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة.

لما حضر معاذة العدوية الموت بكت ثم ضحكت. فقيل لها. مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم، فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر، فكان البكاء لذلك. وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء. وكان زوجها، وقد مات قبلها قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان، وهو في نفر، والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً، فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً. قال فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة.

روت عن علي بن أبي طالب، وعائشة، وهشام بن عامر، حدث عنها أبو قلابة الجرمي، ويزيد الرشك، وعاصم الأحول، وعمر بن ذر، وإسحاق بن سريد، وأيوب السختياني، وآخرون، وحديثها محتج به في الصحاح، وثقها يحيى بن معين.

توفيت سنة ثلاث وثمانين للهجرة.

أم ورقة الأنصارية[1]

من نساء الأنصار، أسلمت مع السابقات بايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وروت عنه.

نشأت على حب كتاب الله تعالى، حتى جمعت القرآن العظيم في صدرها، وكانت قارئة مجيدة للقرآن. اشتهرت بكثرة صلاتها وحسن عبادتها.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرها بأداء الصلاة في بيتها.

بلغ من حبها للجهاد ما قالته عن نفسها: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا بدراً قلت له: يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة، قال: **(قرّي في بيتك؛ فإن الله تعالى يرزقك الشهادة)**.

أصبحت تعرف بالشهيدة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد زيارتها اصطحب معه ثلة من أصحابه وقال لهم: **(انطلقوا بنا نزور الشهيدة)**.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يزورها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكانت أم ورقة تملك غلاماً وجارية، وكانت قد وعدتهما بالعتق بعد

(1) الطبقات الكبرى (8/ 457)، أسد الغابة (6/ 408).

موتها، فسولت لهما نفساهما أن يقتلا أم ورقة، وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها، وهربا، فلما أصبح عمر قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فدخل الدار فلم ير شيئاً، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت، فقال:

صدق الله ورسوله، ثم صعد المنبر فذكر الخبر وقال: عليّ بهما، فأتي بهما، فصلبهما، فكانا أول مصلوبين في المدينة.

الربيع بنت معوذ[1]

أبوها معوّذ بن عفراء، من كبار أهل بدر. وزوجها هو إياس بن البكير الليثي، أحد كبار المهاجرين.

حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم زواجها، تقول عن زواجها: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرسي، فقعد على موضع فراشي هذا، وعندنا جاريتان تضربان بدف، وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر، وقالتا فيما تقولان: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقل: (أما هذا فلا تقولا).

عن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: يابني لو رأيته لرأيته الشمس طالعة.

قالت: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.

كانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة.

كان عدد من الصحابة يأتونها ويسألونها عما تعرفه من أحكام دينها، ومن ذلك ما روي في الصحيحين عنها قالت: أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة

---

(1) أسد الغابة (6/ 108)، سير أعلام النبلاء (3/ 199).

عاشوراء إلى قرى الأنصار: (من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم)، قالت: فكنا نصومه ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.

توفيت الربيع بنت معوذ في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين.

أم رومان بنت عامر[1]

زوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وابناها: عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن رضي الله عنهما.

نشأت في منطقة بجزيرة العرب اسمها السراة، وكانت ذات أدب وفصاحة.

تزوجها قبل أبي بكر أحد شباب عصرها البارزين في قومه واسمه الحارث ابن سخيرة الأزدي فولدت له الطفيل.

كان زوجها الحارث يرغب بالإقامة بمكة، فسافر بها وبابنها إلى هناك، ودخل مكة في حلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك قبل الإسلام.

بعد فترة توفي الحارث بن سخيرة، فتزوجها أبو بكر إكراماً لصاحبه بعد مماته.

وكان أبو بكر متزوجاً قبل ذلك، وله من الولد: عبد الله وأسماء، ثم ولدت له أم رومان: عبد الرحمن وعائشة.

لما أسلم أبو بكر حدث زوجته بالخير الذي رضيه لنفسه فأسلمت معه مبكراً واستكتمها الأمر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

---

(1) الإصابة (4/ 450)، الاستيعاب (4/ 451)، الطبقات الكبرى (8/ 276).

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتردد على دار أبي بكر فتتلقاه أم رومان بالبشر وحسن الضيافة.

كانت لها مواقف صادقة في مواساة زوجها في الأيام الصعبة التي كانت تمر بالدعوة في الفترة المكية، وكانت تتألم لما يصيب المسلمين.

عندما خرج أبو بكر الصديق مهاجراً إلى المدينة، وترك أسرته في مكة لتلحق به، كانت أم رومان تتحمل شدة العيش بعد هجرة زوجها الذي احتمل ماله كله ثم لما وصل الركب المهاجر إلى المدينة بسلام أرسل النبي صلى الله عليه وسلم من يأتي بأهله وبناته، ويأتي بأهل أبي بكر وأسرته.

في طريق أسرة أبي بكر إلى المدينة تعرضت عائشة لخطر كبير، حيث شرد بها وبأمها الجمل، فجعلت أم رومان تقول: واعروساه وابنتاه، تقول عائشة: فسمعت قائلاً يقول: أرسلي خطامه، فأرسلت خطامه، فوقف.

حضرت حادثة الإفك الخطيرة التي هزت بيت أبي بكر الصديق كله فوقفت موقفاً إيمانياً رائعاً وصبرت واحتسبت حتى جاء الفرج من عند الله.

توفيت أم رومان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة ست من الهجرة.

أم الأبطال كبشة بنت رافع[1]

كبشة بنت رافع واحدة من المسلمات المجاهدات اللاتي رافقن الرسالة النبوية الشريفة منذ أن أشرقت أنوارها في المدينة المنورة.

وهذه الصحابية الجليلة قدمت للإسلام خدمات عظيمة، ففي بيتها ترعرعت نواة الإسلام، ومن ثنايا دارها فاحت روائح الطيب في المدينة المنورة كلها، فانتشر فيها الإسلام، فكانت بركة وخيراً في الدنيا كلها.

وهذه الصحابية الكريمة هي أم سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته. نعم هي أم من حكم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

وكانت كبشة زوجة لمعاذ بن النعمان من بني الأشهل، وقد ولدت له سعداً وعمراً وإياساً وأوساً وعقرب وأم حزام.

أسلمت كبشة، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لها أثر كبير في تاريخ نساء الإسلام، وقد أثرت التاريخ بمواقف رائعة جعلتها من الأوائل في عالم نساء الصحابة، فما أن سطعت شمس الهداية، وأشرقت المدينة بنور الإسلام حتى سارعت كبشة ـ أم سعد ـ لتساهم بدورها في نصرة الإسلام مهما كلفها ذلك من ثمن.

لقد كانت أم سعد رضي الله عنها من السابقات في مضمار الخير، حيث

---

(1) الطبقات الكبرى (8/ 12).

كانت أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم مع أم عامر بنت يزيد بن السكن، وحواء بنت يزيد بن السكن.

لقد كان لها رضي الله عنها وقفات إيمانية تدل على جهادها وصبرها، فقد خرجت في غزوة أحد مع من خرج من النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن وردت الأخبار إلى المدينة باستشهاد عدد من المسلمين، وكان من بينهم ابنها عمرو بن معاذ رضي الله عنه لكن الأم المجاهدة كانت ترجو سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبلت مسرعة نحو أرض المعركة، فلما علمت بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمدت الله تعالى واعتبرت مصيبتها هينة.

وكان عمرو بن معاذ رضي الله عنه يجالد في صفوف المشركين حتى لقيه ضرار بن الخطاب فقتله وكان يومئذ ما يزال على شركه.

ومن مواقف الصبر والجهاد لهذه الصحابية الجليلة موقفها يوم الخندق حين كانت مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما في حصن بني حارثة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا إلى الخندق قد رفعوا الذراري والنساء في الحصون مخافة العدو عليهم، قالت عائشة رضي الله عنها: فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة ـ قصيرة ـ قد خرجت منه ذراعه كلها، وفي يده حربة يرفل بها وهو يرتجز بيتاً من الشعر لحمل بن سعدانة الكلبي ويقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجا حَمَل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت أم سعد رضي الله عنها: الحق يا بني فقد والله أخرت، وبهذه الكلمات تظهر لنا شجاعة أم سعد وحرصها على ابنها أن لا تفوته لحظة دون أن يحظى بمعية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أسماء بنت يزيد بن السكن
خطيبة النساء(1)

الأنصارية، واحدة من النسوة الطاهرات اللاتي ضربن أورع الأمثلة في الإيمان والعلم والصبر، فكتب لها الخلود في تاريخ مشرق بالأنوار والبركات.

أسلمت في السابقين من الأنصار على يد مصعب بن عمير، مصعب الخير الذي انطلق من خير دور الأنصار، دار بني عبد الأشهل قوم بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ ذلك الصحابي الجليل الذي كان إسلامه بركة على قومه، حيث روي أنه يوم أسلم ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة.

وأسماء هذه هي بنت عمة معاذ بن جبل الصحابي الجليل - رضي الله عنه - ويلتقي نسبها مع نسب سعد بن معاذ - رضي الله عنهما - في جدهما امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل.

وأسماء بنت يزيد نموذج رائع من النساء اللاتي كن يسألن ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عن أمور دينهن، لتصل إلى طريق الصواب، ولذلك وصفت بأنها كانت من ذوات العقل والدين.

روت أسماء بنت يزيد قالت: مر بي النبي صلى الله عليه وسلم ـ وأنا في

---

(1) الاستيعاب (4/ 223)، أسد الغابة (6/ 13)، سير أعلام النبلاء (2/ 297).

جوار أتراب لي -، فسلم علينا وقال: (**إياكن وكفر المنعمين**). تقول: وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟ قال: (**لعل إحداكن تطول أيمتها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب فتكفر فتقول: ما رأيت منك خيراً قط**).

ولأسماء مكانة خاصة في نفس أم المؤمنين عائشة فهي التي زينتها يوم زفافها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلتها عليه، وأصبحت بعد ذلك تدعى أسماء عائشة أو أسماء مقينة عائشة.

نشأت أسماء في أسرة عرف أفرادها بالتضحية والجهاد منذ أن أعلنت كلمة التوحيد، ومنذ أن صادف نور الإيمان قلوبهم الصافية خالية، فتمكن منهم.

لقد كان لها باع طويل في عالم الجهاد، ففي غزوة أحد قتل أبوها يزيد ابن السكن، وعمها زياد بن السكن، وأخوها عامر بن يزيد، وابن عمها عمارة ابن يزيد بن السكن، فلما بلغها مقتلهم، وعلمت بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبرت كل مصيبة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هينة.

وشهدت أسماء كثيراً من الأحداث الهامة في الإسلام، وكانت تشارك فيها، فحضرت غزوة الخندق، وخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية وبايعت بيعة الرضوان، ثم شاركت في غزوة خيبر.

ولم تتوقف أسماء عن الجهاد، فما إن أقبلت السنة الثالثة عشرة من الهجرة حتى خرجت إلى بلاد الشام لتأخذ مكانها في جيش المسلمين في اليرموك لتسقي العطشى وتضمد الجرحى، ولم يكن عملها مقتصراً على ذلك، بل انغمرت في الصفوف، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً إلى أن توفيت في زمن يزيد بن معاوية.

أول شهيدة سمية بنت خباط[1]

صحابية جليلة، من كبار الصحابيات. وكانت من الرعيل الأول ممن دخل الإيمان في قلوبهم. وهي أول امرأة أظهرت إسلامها، وكانت سابعة سبعة في الإسلام.

وزوج سمية هو ياسر بن عامر الذي قدم مكة هو وأخواه الحارث ومالك من اليمن يطلبون أخاً لهم، فرجع أخواه، وأقام ياسر، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت سمية أمة لأبي حذيفة، وزوجها ياسر بن عامر، فولدت له عماراً، فأعتقه أبو حذيفة ثم مات أبو حذيفة، فلما جاء الله بالإسلام أسلم عمار وأبواه وأخوه عبد الله، وتزوج بسمية بعد ياسر الأزرق الرومي غلام الحارث بن كلدة الثقفي، وله صحبة، وهو والد سلمة بن الأزرق.

لقد كانت سمية من الأسرة التي ألبسها المشركون أدراع الحديد، وصفدوهم في الشمس، فبدأت رحلة العذاب مع سمية وزوجها وابنها عمار حيث كان المشركون يخرجونهم إلى الفضاء إذا حميت الرمضاء ليرتدوا عن دينهم، ولكن الأسرة الصابرة تزداد صلابة وإيماناً وتسليماً، حتى مات ياسر تحت التعذيب، فواصلت الأسرة الياسرية رحلة الصبر والثبات، وبدأت سمية

---

(1) الطبقات الكبرى (3/ 246)، صفة الصفوة (2/ 60).

تتحدى وتجابه بني المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وتقف صامدة أمام أبي جهل الذي غدا كالمسعور من مجابهة سمية له بسخرية، فلقد حطمت ـ رضي الله عنها ـ كبرياءه وصلفه بصبرها وثباتها، وفطرت قلبه بعدم ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولو بكلمة واحدة.

لم يكن أبو جهل يترك وسيلة في فتنة الناس عن الدين الصحيح إلا اتبعها، فإن كان الرجل له شرف ومنعة أنبه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.

وظلت سمية - رضي الله عنها - تتحمل العذاب، وتصبر على أذى أبي جهل صبر الأبطال، فلم تهن عزيمتها أو يضعف إيمانها، ولقد تفنن الخبيث في إيذائها وإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالكلام والشتيمة، وذات عشي أغلظ لها الكلام، ثم قال لها: ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشيقته لجماله، فما كان جوابها إلا أن أغلظت له القول فأغضبته، ولم يكن من جبروته وغيه إلا أن طعنها بحربة في قلبها فماتت شهيدة في سبيل الله، وصعدت روحها إلى بارئها راضية مرضية، وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فكانت بذلك أول شهيدة في الإسلام.

أمامة بنت أبي العاص[1]

أمامة بنت أبي العاص بن الربيع القرشية، حفيدة رسول الله صلى عليه وسلم التي حظيت بحب النبي صلى الله عليه وسلم واستأثرت بعطفه، فكان يكرمها ويحملها وهي طفلة.

أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدتها لأمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين في زمانها، وأول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقه قبل كل أحد.

وأبوها أبو العاص بن الربيع صهر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب، وابن أخت خديجة أم المؤمنين، كان قد أسر يوم بدر فأطلق بلا فداء كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب زينب، ثم أسلم قبيل فتح مكة، وحسن إسلامه.

ولدت أمامة رضي الله عنها في حياة جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضعت الإيمان من أمها زينب، وصنعت على عينها، حيث غذتها بزاد التقوى، وفطمتها على الصلاح. فكانت أمامة بذلك كريمة النشأة والأصل، ولذا فقد كان عليه الصلاة والسلام يأنس بها، ويهش لها، وأحلها

(1) الاستيعاب (4/ 237)، أسد الغابة (6/ 22)، الإصابة (4/ 230)، الطبقات الكبرى(8/ 232).

من قلبه الشريف مكاناً رحباً، ومن عطفه حناناً يروي النفوس ويغذي.

ولم تطل مدة حياة زينب رضي الله عنها، حيث توفيت في السنة الثامنة للهجرة، تاركة أمامة التي لم تبلغ الحلم بعد، وكان فراق زينب أليماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابنتها الصغيرة، ودخل عليه الصلاة والسلام على النساء وهن يغسلن زينب رضي الله عنها فقال: **(اغسلنها ثلاثاً أو خمساً، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من الكافور، فإذا فرغتن فآذنني)**.

فلما فرغن آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطينه حقوة فقال: **(أشعرنها إياه)**، وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها.

ولقد سبق زينب إلى جوار الله تعالى أختاها رقية وأم كلثوم، فتركن في قلب النبي صلى الله عليه وسلم الحزن ولكنه صلى الله عليه وسلم احتسبهن عند الله تعالى الذي لا تضيع لديه الأمانات، فله ما أعطى وله ما أخذ، وكل شيء عنده بأجل مسمى.

ولقد لقيت أمامة من النبي صلى الله عليه وسلم الرعاية، وأفاض عليها من حبه ما جعله يحملها حتى في الصلاة، فعن أبي قتادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما نحن ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر أو العصر وقد دعا بلال للصلاة، إذ خرج إلينا، وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته على عنقه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصلاه وقمنا خلفه، وهي في مكانها الذي هي فيه. قال: فكبر فكبرنا. حتى إذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركع أخذها فوضعها، ثم ركع وسجد حتى إذا فرغ

من سجوده، ثم قام، أخذها فردها في مكانها، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع بها ذلك في كل ركعة حتى فرغ من صلاته.

لما توفي أبو العاص بن الربيع سنة اثنتي عشرة للهجرة، كان قد أوصى بابنته أمامة إلى ابن خاله الزبير بن العوام، وقد زوجها الزبير من علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة خالتها فاطمة رضي الله عنها، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبقيت عنده مدة، وجاءته الأولاد منها، فلما قتل علي رضي الله عنه تأثرت أمامة لمقتله، وقالت أم الهيثم النخعية تصف حزن أمامة:

أشـــــاب ذؤابـــــتـــــي أذل ركـــــبـــــي
أمـــامـــة حـــين فـــارقـــت الـــقـــريـــنـــا
تـــطـــيـــف بـــه لـــحـــاجـــتـــهـــا إلـــيـــه
فـــلـــمـــا اســـتـــيـــئـــســـت رفـــعـــت رهـــينا

وعاشت أمامة بعد علي حتى تزوج بها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ثم توفيت عنده بعد أن ولدت له يحيى بن المغيرة، وكانت وفاتها في عهد معاوية بن أبي سفيان.

أم الدحداح الأنصارية(1)

أم الدحداح الأنصارية واحدة من نساء الصحابة اللاتي كان لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، وهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدنيا الزائل.

أسلمت أم الدحداح حين قدم مصعب بن عمير المدينة سفيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو أهلها إلى الإسلام حيث كانت ممن ناله شرف الدخول في الإسلام، كما أسلمت أسرتها كلها، ومشوا في ركب الإيمان.

زوجها الصحابي الجليل أبو الدحداح، ثابت بن الدحداح أو الدحداحة ابن نعيم بن غنم بن إياس حليف الأنصار، وأحد فرسان الإسلام، وأحد الأتباع الأبرار المقتدين بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، والسائرين على نهجه الباذلين في سبيل الله نفسهم وأرواحهم وأموالهم.

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها، غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: من الآية245]. قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن

(1) أسد الغابة (1/ 167)، الإصابة (4/ 59).

القرض؟ قال: (نعم يريد أن يدخلكم الجنة به) قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحادحة معي في الجنة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم) قال: فناولني يدك. فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لعيالك)، قال: فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: (إذاً يجزيك الله به الجنة).

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيان في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هـــداك الله ســـبـــل الــــرشـــاد
إلى ســـبـــيـــل الخـــيـــر والـــســـداد
بـــيـــنـــي مـــن الـــحـــائـــط بـــالـــوداد
فـــقـــد مـــضـــى قـــرضـــاً إلى الـــتـــنـــاد
أقـــرضـــتـــه الله عـــلـــى اعـــتـــمـــادي
بـــالـــطـــوع لا مـــن ولا ارتـــداد
إلا رجـــاء الـــضـــعـــف فـــي الـــمـــعـــاد
ارتحـــلـــي بـــالـــنـــفـــس والأولاد
والـــبـــر لا شـــك فـــخـــيـــر زاد
قـــدمـــه المرء إلى المعـــاد

قالت أم الدحداح رضي الله عنها: ربح بيعك ! بارك الله لك فيما

اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح
مثلك أدى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح
بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله قد كدح
طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح رضي الله عنها على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح).

وكان أبو الدحداح رضي الله عنه مثالاً فريداً في التضحية والفداء، فإنه لما كانت غزوة أحد أقبل أبو الدحداح والمسلمون أوزاع قد سقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار إلي أنا ثابت بن الدحداحة، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خشناء، فيها رؤساؤهم، خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب فجعلوا يناوشونهم، وحمل عليه خالد بن الوليد الرمح فأنفذه فوقع ميتاً رضي الله عنه، واستشهد أبو الدحداح فعلمت بذلك أم الدحداح، فاسترجعت، وصبرت، واحتسبته عند الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

أم معبد الخزاعية[1]

أم معبد الخزاعية، صحابية جليلة، لم تكن من النساء ذوات الشهرة في الجاهلية، بل كانت امرأة بدوية لا تتعدى شهرتها خيمتها أو أهلها، وقد هبطت عليها البركة عند نزول النبي صلى الله عليه وسلم ضيفاً عليها عند هجرته إلى المدينة حتى غدت بذلك إحدى شهيرات النساء في الإسلام.

اسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ أخت حبيش بن خالد الخزاعي الكعبي الصحابي، وهو صاحب حديث أم معبد الخزاعية رضي الله عنها، وإليك قصة أم معبد الخزاعية رضي الله عنها، كما هي في الطبقات الكبرى لابن سعد:

عن أبي معبد الخزاعي رضي الله عنه أن رسول صلى الله وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، كانت امرأة جلدة، برزة، تحتبي وتقعد بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها تمراً أو لحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون مسنتون، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من

---

(1) الطبقات الكبرى (1/ 230).

ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله، وقال: اللهم بارك لها في شاتها. قال: فتفاجت ودرت واجترت، فدعا بإناء لها يربض الرهط، فحلب فيه ثجاً حتى علبه الثمال فسقاها، فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرهم، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها.

فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حيلاً عجافاً هزلى ما تساوق، مخهن قليل لا نقي بهن، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين لكم هذا والشاة عازبة، ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب، صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، متبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثلجة، ولم تزر به صلعة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، إذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خزرات نظم يتحدرن، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هزر، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابث ولا منفد. قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته يا أم معبد لالتمست أن أصحبه، لأفعلن أن وجدت إلى ذلك سبيلاً،

وأصبح صوت بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من الأفعال لا يجازي وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزيد
فغادره رهناً لديها لحالب تدر بها في مصدر ثم مورد

ولقد لامست نسمات الإيمان قلب أم معبد منذ اللحظات الأولى التي سمعت وشاهدت فيها النبي صلى الله عليه وسلم بدليل أنها حين مر بها فتيان قريش وسألوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يلاحقونه أشفقت عليه منهم، فتعاجمت عليهم، وقالت لهم: إنكم تسألون عن شيء ما سمعت به قبل عامي هذا.

السيده المكرمه الصالحة نفيسة[1]

ابنة الحسن بن زيد بن السيد بن السيد سبط النبى ﷺ بن علي رضي الله عنها، العلوية، الحسنيه.

كانت ـ رحمها الله وأكرمها ـ من الصالحات العوابد، زاهدة، تقية، نقية، تقزم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله عز وجل، حتى قيل لها: (ترفقي بنفسك) لكثرة ما رأوا منها، فقالت: (كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟) حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن حكى أنها دخلت مصر المؤتمن إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق: (فأقامت بها) وكانت ذا مال، فأحسنت إلى الناس، والجذامى، والزمنى، والمرضى، وعموم الناس، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير، ولما ورد الشافعي مصر أحسنت إليه، وكان ربما صلى بها في شهر رمضان، وحين مات أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل، فصلت عليه. ومن أخبارها رحمها الله تعالى:

أنها أقامت بمصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وقيل: مع أبيها الحسن الذي عين والياً على مصر من قبل أبي جعفر المنصور.

وقد هرع إليها أهل مصر يشكون من ظلم أحمد بن طولون، فقالت لهم

(1) البداية والنهاية (10/ 262).

متى يركب؟ قالوا: في غد، فكتبت رقعة، ووقفت بها في طريقة، وقالت (يا أحمد بن طولون) فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة، وقرأها، فإذا فيها: (ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام القدر نافذة غير مخطئة لا سيما في قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم، ويبقى الظالم.

اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ فعدل لوقته.

بل قيل: إن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى سمع عليها الحديث من وراء حجاب، وطلب منها أن تدعو له.

توفيت رحمها الله تعالى وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: (واعجباه ! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون)، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: من الآية١٢].

آسيا امرأة فرعون

ضرب الله عز وجل بإيمانها المثل، وخلد ذكرها في كتابه العزيز، لأنها أعلنت إيمانها بالله عز وجل، ولم تخف من بطش فرعون اللعين، وصبرت على تعذيبه إياها وآثرت ما عند الله عز وجل، من نعيم مقيم على نعيم الدنيا الزائف الزائل قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ (التحريم: 11).

فإن تمردها على فرعون مما يظهر للناس كذبه في ادعائه الربوبية والألوهية، فالرب على كل شيء قدير، يملك قلوب الناس، ونواصي الناس، وهذا المدعي للربوبية والألوهية لا يملك أقرب القلوب إليه، لا يملك قلب زوجته.

والإله من تألهه القلوب محبة وإجلالاً وتعظيماً، وهذا المدعي تتبرأ منه زوجته وهي أقرب الناس إليه، كما أن الملك الكافر في قصة أصحاب الأخدود كان يدعي الربوبية والرب يحيي ويميت، وقد عجز هذا الكافر المتكبر عن قتل الغلام، حتى فعل ما أمره به الغلام وكما أن المسيح الدجال الذي يأتي في آخر الزمان يزعم الربوبية، وشواهد النقص والقصور على وجهه، فهو أعور، والرب يتصف بكل كمال، وينزه عن كل نقص ومحال، وهو عاجز عن إزالة هذا العور، وكذا مكتوب بين عينيه: ك ف ر. يقرأها كل مؤمن قارئ وغير قارئ، وهو عاجز عن إزالة هذا الشاهد بكفره، وكذا كل من يدعي الربوبية والألوهية كذباً وزوراً يفضحه الله عز وجل ويظهر للناس عجزه ونقصه وعيبه.

عن أبي هريره (رض) قال: إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في بيتها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة. فقالت: (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من القوم الظالمين). فكشف لها عن بيتها في الجنة[1].

قال الدكتور عمر الأشقر: وقفت بعض النساء مواقف إيمانية متميزة عبر التاريخ. وبعض هذه المواقف يعجز عنها الرجال ومن هؤلاء آسيا ملكة مصر امرأة فرعون، فقد جادن بنفسها لله عز وجل، وآثرت ما عنده وتخلت عن الدنيا، وصبرت على عذاب زوجها لها، حتى فاضت روحها إلى بارئها[2].

واستحقت امرأة فرعون بأن يضرب بها المثل لهذا الموقف الإيماني، ولأنها كانت تحت ملك ادعى الربوبية والألوهية ومع ذلك كفرت بربوبيته وإلهيته وآمنت بالله رب العالمين، ولأنها كانت تعيش في قصر فرعون فآثرت عند الله بيتاً في الجنة على قصر فرعون.

كما استحقت امرأة نوح وامرأة لوط بأن يضرب بهما المثل في الكفر، لأنهما كانتا تحت نبيين كريمين، والزوجة يجب عليها طاعة زوجها فكيف إذا كان زوجها نبياً من أنبياء الله طاعته طاعة لله عز وجل فخانتهما- أي في طاعة الله والإيمان- فقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين.

وفي هذا الحديث لطف الله عز وجل بعباده المؤمنين؟ الذين يبذلون في الله عز وجل ويثبتون على طاعته، فكانت الملائكة تظلها (رض)، وأراها الله عز وجل كما قال تعالى ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ فالله عز وجل ثبت أهل الإيمان، ويسر لهم سبيل الزيادة في إيمانهم رحمة بهم، نسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه. يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.

---

(1) رواه أبو يعلى (6/ 35) رقم 2508 وصححه الألباني في الصحيحة رقم (2508).

(2) صحيح القصص النبوي :ص279.

خولة بنت الأزور
من ذوات الخدور ليس كمثلها النسور[1]

يروى أنه لما أسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين، سار خالد بن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاذه. فبينما هو في الطريق، مر به فارس معتقل رمحه لا يبين إلا الحدق، وهو يقذف بنفسه، ولا يلوي على ما وراء فلما نظر خالد بن الوليد قال: ليت شري !! من هذا الفارس؟ وأيم الله، إنه لفارس. ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم. فحمل عليهم وأمعن بين الصفوف وصاح بين جوانبهم حتى زعزع كتائبهم. . وحط مواكبهم فلم تكن غير جولة جائل حتى خرج وبسانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالاً، وجندل أبطالاً ثم عرض نفسه للموت ثانية، فاختلف صفوف القوم غير مكترث، وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليه شيء كثير، وظنه أناس خالداً، حتى إذا قدم خالد قال له رافع بن عميرة: من الفارس الذي تقدم أمامك، فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد: والله لأنا أشد أنكاراً وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله، فبينما القوم في حديثهم، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب، والخيل تعدو في أثره وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه، فأنهل رمحه من صدره، حتى قدم على المسلمين فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورفع لثامه وناشده ذلك

---

(1) فتوح الشام (1/ 127)، نساء لهن من التاريخ الإسلامي نصيب : ص53.

خالد بن الوليد وهو أمير القوم وقائدهم، فلم يُحرِ جواباً، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم، فقال: أيها الأمير، إني لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أني محرقة الكبد، زائدة الكمد، فقال خالد: من أنت؟ قالت: خولة بنت الأزور، كنت مع نساء قومي، فأتاني آت بأن أخي أسير، فركبت وفعلت ما رأيت، هنالك صاح خالد في جنده فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم وكانت تجول في كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها فلم تر له أثر، ولا وقفت له على خبر، على أنها لم تزل على جهادها حتى استنقذ لها أخوها.

ومن مواقفها الرائعة: موقفها يوم أسر النساء في موقعة «صحوراء» فقد وقفت في النساء، وكانت قد أسرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن وتضرم نار الحمية في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن، فقالت: خذن أعمدة الخيام وأرقاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت عفار: والله ما دعوت إلى ما هو إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عموداً من عمد الخيام. صحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابع النساء وراءها، فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة، ولا تتفرقن، فيقع بكن التشتيت وأحطن رماح القوم، واكسرن سيوفهم. . . وهجمت خولة وهجم النساء وراءها وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت، حتى استنقذتهن من أيدي الروم. . وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تُبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار مسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر

من صور الحب الرائعة[1]

كانت زينب بنت رسول الله ﷺ أكبر بناته، وقد تزوجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بمدة قليلة إنها عشر سنين.

فلما بعث النبي ﷺ وأظهرت قريش عداوتها مشوا إلى أبي العاص وقالوا له: فارق بنت محمد ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، فقال: لا والله إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش.

وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت، وبين أبي العاص، إلا أن رسول كان لا يقدر أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها، وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما كان يوم بدر كان أبو العاص بن الربيع من الأسرى، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

ولما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادة لها كانت خديجة أمها رضى الله عنها قد أدخلتها بها على أبي العاص

---

(1) الطبقات الكبرى (8/ 30) والاستيعاب (4/ 304)، الإصابة (4/ 306)، تاريخ الطبراني (2/ 467-473)، سيرة ابن هشام (3/ 2- 208)، سير أعلام النبلاء (3/ 206 ـ 208)، الكامل فى التاريخ (2/ 94).

حين بنى عليها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: **(إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا)**.

فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه. وردوا عليها الذي لها

فأخذ عليه النبي ﷺ وعداً أن يخلي سبيل زينب، وكانت من المستضعفين من النساء، واستكتمه النبي ﷺ ذلك، وبعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: **(كونوا ببطن يأجج[1] حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتياني بها)** فخرجا مكانهما، وكان ذلك بعد بدر بشهر. فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها[2] فتجهزت، فقدم أخو زوجها - كنانه بن عدي بن ربيعة، وهو ابن خالتها ـ بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته نهاراً ثم خرج يقود بها، وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فروعها بالرمح وهي في هودجها، وكانت حاملاً، فلما ريعت طرحت ما في بطنها، فبرك كنانة ـ ابن خالتها ـ ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو مني أحد إلا وضعت فيه سهماً. . ، فرجع الناس وانصرفوا عنه.

ثم أتى أبو سفيان في قلة من قريش فقال: أيها الرجل: كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكف، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس أن ذلك على ذل أصابنا، ولعمري ما بنا

---

(1) موضع على ثمانية أميال من مكة.

(2) قال المسور بن مخرمة : أثنى النبي (ص) على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال : (حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي) انظر البخاري (3729، 523)، مسلم (2449).

بحبسها عن أبيها من حاجة، أرجع بها، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنا رددناها فسر بها سراً، وألحقها بأبيها، ففعل، وخرج بها بعد ليال، فسلمها إلى زيد وصاحبه فقدما بها على رسول الله ﷺ.

فلما كان قبل فتح مكة خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ـ وكان رجلاً مأموناً، بمال له وأموال لرجال من قريش، فلما رجع لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت جنح الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها، فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبر وكبر معه الناس صرخت زينب من صفة النساء: أيها الناس: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: (**أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟**) قالوا: نعم، قال: (**والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت منه ما سمعتم، أنه يجير على المسلمين أدناهم**).

ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال: (**أي بنية: أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له**).

ثم إن رسول الله ﷺ بعث السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: (إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به).

فقالوا: يا رسول الله: بل نرده عليه فردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً. . . ثم احتمله إلى مكة ـ فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن

كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش: هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله والله ما منعني من الإسلام عند رسول الله ﷺ إلا تخوفي أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت.

ثم خرج مهاجراً حتى قدم على رسول الله ﷺ.

قال ابن عباس: فرد عليه النبي ﷺ زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئاً بعد ست سنين ثم عاشت رضي الله عنها حتى ثمان من الهجرة، وتوفيت في عهد النبي ﷺ وكان يحبها ويثني عليها. . واستمر أبو العاص معها على حبه ومودته. . . ، حتى لحق بها بالرفيق الأعلى في شهر ذي الحجه سنة اثنتي عشر في خلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ولا عجب أن تسمع هذا الزوج المحب في بعض أسفاره إلى الشام يقول:

ذكرت زينب لما ركبت ارما فقلت سقياً لشخص الحرما
بنت الأمين جزاك الله صالحة وكل بعل سيثني بالذي علما

إيمان وبطولة نادرة[1]

أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة يوم الفتح ولكن زوجها عكرمة بن أبي جهل فر إلى اليمن، فأستأذنت رسول الله ﷺ في طلب زوجها فأذن لها وآمنه، فخرجت تطلب زوجها حتى أدركته ببعض تهامة، وقد ركب سفينة في البحر، فلما جلس في السفينة نادى باللات والعزى، فقال أصحاب السفينة، لا يجوز ههنا أحد يدعو شيئاً إلا الله وحده مخلصاً، فقال عكرمة، والله لئن كان في البحر وحده إنه في البر وحده، هنا أدركته امرأة فقالت: جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، وقد استأمنت لك فأمنك.

فرجع عكرمة مع امرأته فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **(يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي)** فلما بلغ باب رسول الله ﷺ استبشر ووثب له رسول الله ﷺ قائماً على رجليه فرحاً بقدومه وقال: (مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر) فقال للنبي ﷺ إن هذه ـ يعني زوجته أم حكيم ـ أخبرتني أنك أمنتني فقال ﷺ: **(أنت آمن)** فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبد الله ورسوله، وأنك أبر الناس وأصدق

(1) الإصابة (3/ 496-497).

الناس، وأوفى الناس، قال عكرمه: أقول ذلك وأنا لمطأطئ رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال ﷺ **(اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك)**.

فقلت: يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فأعلمه.

فقال: (قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله)، قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

استشهد زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه في أجنادين فاعتدت أربعة أشهر وعشراً، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها، وكان خالد بن سعيد بن العاص يعرض لها في خطبتها، فخطبت إلى خالد بن سعيد، فتزوجها على أربعمائة دينار، فلما نزل المسلمون مرج الصفر، وكان خالد قد شهد أجنادين وفحل ومرج الصفر أراد أن يدخل بأم حكيم، فقالت له: لو أخرت الدخول حتى يهزم الله هذه الجموع؟.

فقال: إن نفسي تحدثني أن أقتل.

فقال: فدونك. . فدخل بها عند القنطرة، ثم أصبح فأولم عليها[1] ودعا أصحابه على طعام، فلما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها صفوفاً

(1) أي صنع وليمة الزواج.

خلف صفوف، ووقع القتال، وبرز خالد بن سعيد فقاتل حتى قتل. وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدت وإن عليها أثر الخلوق[1]فاقتتلوا أشد القتال على النهر، وصبر الفريقان جميعاً، وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة من الروم بعمود الفسطاط[2]الذي بات فيه خالد معرساً بها.

(1) الخلوق : طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

(2) الفسطاط : الخيمة.

ماشطة ابنة فرعون

هذه قصة امرأة علم الرسول ﷺ علمها عندما عرج إلى السماوات العلا في ليلة الإسراء، فقد تنسم الرسول ﷺ في عروجه نسمات طيبة هبت عليه، فسأل جبريل عن مصدرها، فأخبره أن هذه الرائحة الطيبة تنبعث من ماشطة ابنة فرعون ومن أولادها.

كانت هذه المرأة تعيش في قصر الملك، وكانت تعنى بابنته، فتمشط شعرها وتقوم على أمرها، ومن كان هذا عمله لا بد أن يكون مكرماً معززاً مرفهاً، ولكن الإيمان غزا قلبها، وملك عليها أمرها، كما غزا قلب الملكة زوجة فرعون، وقد كتمت هذه المرأة إيمانها كما كتمته زوجة فرعون، وكتمه مؤمن آل فرعون.

ولكن مهما حاول المرء أن يكتم ما يجري في أعماق نفسه، فلا بد أن تدل عليه تصرفاته، وسمته وحركاته، وأقواله، ففي بعض الأوقات يغفل الإنسان عن نفسه، فيتصرف على سجيته. وقد حصل هذا لهذه المرأة الصالحة، فقد سقط منها المدرى ـ المشط ـ عندما كانت تسرح لابنة فرعون شعرها، فقالت بسم الله وعجبت ابنة فرعون لمقالتها وكانت جاهلة مغترة بأبيها، تعتقد فيه ما ادعاه زوراً وكذباً من الألوهية والربوبيه، فقالت لها مستفهمة: أبي؟ فقالت: ربي ورب أبيك الله. عند ذلك قالت لها: أخبره

بذلك؟ تسألها إن كانت توافق أخبار الملك بإيمانها بالله، وخروجها عن ألوهية الملك، فقالت: نعم. وأخبرت الفتاة المغرورة أباها الجبار الطاغية بما كان من شأن ماشطتها، فدعاها واستعلم منها، فصدقته القول، وإن الله هو ربها وربه. فما كان من ذلك الطاغية إلا أن استعمل وسيلة من الوسائل التي كان قد أعدها لمن يخرجون عن ألوهيته وربوبيته، فقد جاء بأداة مصنوعة على شكل بقرة، فأشعلت تحتها النار حتى حميت، ثم أمر أن تلقى وأولادها في جوف هذه البقرة النحاسية، بعد أن أصبحت فرناً ذا حرارة شديدة هائلة. فطلبت منه طلباً وهو أن يجمع بقاياها المحترقة وبقايا أولادها في ثوب ثم تدفن بقايا الأجساد المحترقة، وقد وعدها بتحقيق مطلبها.

أمر الطاغية برمي أولادها في جوف ذلك الآتون المشتعل واحداً في إثر واحد قبل أن يقذف بها فيه، ولعله أراد بذلك أن ترجع عن دينها، وهي تري كيف تفعل النار بهم قبلها، ولعله إن أراد أن يزيد من عذابها برؤيتها أولادها. يحترقون بين يديها، والمرأة رقيقة في طبعها، ولذا تؤذيها رؤية المناظر البشعة كالإحراق بالنار وسفك الدماء، ويزيد من ألمها أن يكون الذين يعذبون ويقتلون هم أولادها، فالأم في هذه الحال يتصدع قلبها، وتنفطر مرارتها، ولكن هذا الموقف الذي وقفته، وهذا الصبر والتجلد الذي تحلت به يدل على ذلك المستوى الإيماني الذي بلغته تلك المرأة، ولذا لم يكن عجباً أن يفوح عطرها وعطر أولادها وشذاهم هناك في السماوات وأن بجده الرسول ﷺ ويلفت نظره في رحلته في السماوات العلا وأن يعلم خبرها في تلك الرحلة، إنها عظيمة عند الله، فبمقدار هوانها على فرعون وجنده عظمت عند الله وملائكته. وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن تلك المرأة رق قلبها وتألمت ألماً شديداً عندما جيء بابنها الرضيع ليقذف به في النار، وأكثر ما تكون المرأة شفقة ورقة عندما

يصاب ابنها الرضيع بما يؤذيه في هذا السن، فكأنها تقاعست وفكرت بالنكوص، فثبتها الله بابنها، فأنطقه الله لها، ليزيد إيمانها وليدلل لها على صدق موقفها، فقال لها: يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة. وهنا لم تنتظر منهم أن يقذفوها في النار بل اقتحمت بنفسها النار، وألقت بها وذلك الآتون المستعر ولا شك أن رائحة جسدها المحترق وأجساد أولادها كانت تفوح شأنها شأن اللحم عندما يوضع في الفرن فيحترق، ولذلك كان من إكرام الله لها أن جعل لها عطراً مميزاً يفوح في السماوات.

هذه قصة ماشطة ابنة فرعون، والتي رواها أحمد في مسنده[1] عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدري من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله فقالت: أخبره بذلك؟ قالت نعم فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت).

---

(1) أخرجه أحمد (3/ 309).

باحثة البادية: الأديبة ملك حفني ناصف[1]

نرتحل إلى أرض الكنانة التي أوصى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بأهلها خيراً نغرف من نيلها غرفة لوجه نسائي يعد علماً من أعلام النهضة ورائدة من رائدات إصلاح أحوال النساء. . ابنة عالم جليل يعتبر من كبار رجال النهضة الأدبية. . وممن أرسوا دعائمها على هدى الإسلام الحنيف. . إنها ملك حفني ناصف.

كان والدها حفني ناصف قد عمل بالقضاء وساهم في إنشاء الجامعة الأهلية التي عرفت فيما بعد بجامعة القاهرة. . وقد ختم حياته بعمل جليل هو كتابة المصحف الشريف على الرسم العثماني ووضع له قواعد الإملاء الخاصة به. . كان هذا الجو مرتعاً جميلاً وينبوعاً صافياً وتربة علمية خصبة تربت في أحضانها ملك حفني ناصف.

ولدت ملك في عام 1886م بالقاهرة، فكان والدها هو معلمها الأول الذي نهلت على يديه من علوم القرآن ودروس اللغة العربية الكثير. . ثم التحقت بالمدرسة السنية وهي المدرسة الوحيدة التي كانت آنذاك لتعليم البنات في مصر. . فتدرجت عبر سلمها الدراسي حتى حصلت على شهادتها في التعليم العالي فكانت من أوائل المصريات اللواتي حصلن على هذه الشهادة.

لم تتجاوز ملك حفني ناصف سن السابعة عشر حين تفجرت مواهبها

(1) مجلة المنار، العدد 87، شوال 1425 هـ.

الشعرية والأدبية فبدأت بنشر مقالاتها في جريدة (المؤيد) وأظهرت منذ حروفها الأولى اهتماماً بأترابها من الفتيات ترنو إلى إخراجهن من عالم الجهل الذي اعترى حياة المرأة أبان تلك الحقبة.

بعد أن نالت ملك حفني ناصف شهادتها العليا التحقت بالمدرسة السنية كمعلمة فيها فأخذت على عاتقها تحقيق هدفها بتعليم المرأة. . ولاحظت من خلال ممارساتها التعليمية أن الجوانب الاجتماعية والبيئية تلعب دوراً مهماً في حجم الظلام الذي عاشته المرأة فوضعت نصب عينيها تحقيق هدف أكبر من تعليم المرأة وهو الإصلاح الاجتماعي. . وراحت تحث العائلات التي تعرفها على ضرورة تعليم فتياتهن ثم جعلت من نفسها نموذجاً حياً للفتاة المتعلمة الواعية التي تحافظ على أخلاقها ودينها مدعمة أفكارها وآراءها بالمقالات والقصائد التي ثابرت على نشرها في الصحف المصرية.

كانت ملك حفني ناصف شاهداً معاصراً للمعركة القلمية التي احتدمت عريكتها في الفترة الأولى من القرن العشرين بين دعاة السفور من أرباب الأقلام المتفرنجة وبين دعاة الحجاب من أرباب الإصلاح في الإطار الإسلامي. . فجندت ملك قلمها وفكرها وثقافتها الواسعة لخوض المعركة مدافعة عن الدين. . متمسكة بحجابها تشحن سيفها بآيات كتاب الله الكريم لتثبت بالنصوص الشرعية أهمية الحجاب مدحضة آراء الزاعمين بأن الحجاب معوق في إصلاح المرأة وحجر عثرة في طريق رقيها، وكان من أبرز الآراء التي قالتها: (إن الأمم الأوروبية التي تساوت في السفور، لم يكن تقدمها في مستوى واحد فمنها الأمم القوية ومنها الأمم الضعيفة، فلماذا لم يسوّ السفور بينها جميعاً في مضمار التقدم، إذا كان هو الأساس للرقيّ كما يزعم هؤلاء).

في عام 1907م تزوجت ملك حفني ناصف من عبد الستار الباسل رئيس قبيلة الرماح بالفيوم، ومنذ ذاك اليوم أطلقت على نفسها لقب (باحثة البادية) إذ تركت التعليم بالمدارس واشتغلت بالتعليم العملي في بيت زوجها. . تباشر

أعمالها المنزلية بنفسها لتكون قدوة لغيرها من السيدات اللواتي تركن أعمال منازلهن للخادمات فأوقعن بيوتهن في البلاء وأزواجهن في الشقاء. . فكانت رحمها الله إذا ما فرغت من أعمالها المنزلية عكفت على قراءة الكتب النافعة وكتابة مقالاتها والقيام بزيارات لمدارس البنات تتفحص خلالها مناهج التعليم وتقدم النصح والإرشاد لتطوير تعليم المرأة بما ينفعها. . أخذت ملك حفني ناصف على عاتقها آراء في تعليم المرأة وأيدت قيام المرأة بأعمال الرجال بما لا يتنافى مع الدين الإسلامي. . نظرت ملك إلى زينة المرأة نظرة اتزان لا تأخذ من المرأة جل اهتمامها فتدنو بها إلى السخافة والتفاهة وتصير عبئاً تنوء عن حمله جيوب الرجال، وأن تكون وسيلة للاستحسان لا غاية منتهى ألباب النساء.

نجحت ملك حفني ناصف في تحويل حياتها الاجتماعية إلى ناد ثقافي، وقد ساعدتها اللغات الأجنبية التي أجادتها على ذلك فصار بيتها موئلاً تقصده النساء الغربيات والشرقيات على السواء للاطلاع على ثقافة المرأة المسلمة وفكرها المستنير. . وقد شهدت لها العديد من النساء الغربيات اللواتي زرنها على مدى دورها في تصحيح صورتهن عن المرأة المسلمة من خلال خطبها ومقالاتها ولقاءاتها. . فكانت ملك وسطاً بين أفكار المتقوقعين الجامدين المتطرفين وبين أولئك المتفرنجين الداعين إلى السفور وإخراج المرأة من فلكها الإسلامي.

نجحت ملك حفني ناصف في تأسيس اتحاد النساء التهذيبي ووضعت له برنامجاً يقوم على التثقيف ونشر الوعي واستغلال طاقات المرأة لخدمة الأمة فكانت باكورة أعمالها في هذا المجال جمع التبرعات لمنكوبي طرابلس من ضحايا الاستعمار الفاشي. . كما ساهمت في تأسيس مدرسة التمريض على غرار الصليب الأحمر العالمي.

وكان أعظم ما ساهمت به ملك حفني ناصف الورقة التي قدمتها لمؤتمر

مصري عن مقترحاتها حول إصلاح المرأة ضمنتها ما تراه واجباً للنهوض بالمرأة من حيث تعليم البنات الدين الإسلامي الصحيح، وإنشاء مدارس ابتدائية وثانوية خاصة بالفتيات، وإضافة تعليم التدبير المنزلي على أسس وقواعد سليمة. . وفتح المجال للنساء لتعلم الطب. . وإقامة معاهد لإعداد المعلمات لتتولى المرأة مهمة تعليم البنات في مصر.

تركت ملك حفني ناصف تراثاً خالداً تجلى في كتابها (النسائيات) وهو مجموعة مقالات وخطب خاصة بالمرأة. . وكتاب (حقوق النساء) الذي لم يطبع، وقد أنجزت منه ثلاثة مقالات جميعها عن الموازنة بين المرأة المسلمة والمرأة المتمدنة الغربية في الحقوق المالية والإدارية والانتخابات. . كما شرعت في ترجمة حياة السيدة خديجة بنت خويلد لكن إرادة الله لم تمهلها فقد وافتها المنية عن عمر يناهز الثانية والثلاثين من السنين الحافلة بالجد والعمل الدؤوب. . ولعمري لو مد في عمرها لعلا نجمها وربما اختصرت على المرأة المسلمة خطوات في طريق إصلاحها.

هذه ملك حفني ناصف باحثة البادية التي أطلت على العالم المتمدن بحجابها وأخلاقها ومبادئها الإسلامية فانطلقت تبحث عن المرأة. . تجند قلمها وطاقاتها المقالية والشعرية والخطابية لخدمة الأمة الإسلامية.

ولم أنس ملك الشاعرة التي نثرت دررها القليلة لخدمة فكرها فأحببت أن أختم هذا المقال بأبيات لها عن الحياء.

إن الفتاة حديقة وحياؤها ... كالماء موقوفاً عليه بقاؤها

بفروعها تجري الحياة فتكتسي ... حللاً يروق الناظرات برواؤها

إيمانها بالله أحسن حلية ... فيها، فإما ضاع، ضاع بهاؤها

لا خير في حسن الفتاة وعلمها ... إن كان في غير الصلاح رضاؤها

فجمالها وقف عليها إنما ... للناس منها دينها ووفاؤها

الفهرس

أول معلمة في الإسلام. . الشفاء بنت عبد الله ٧
حارسة القرآن ١١
صفية بنت عبد المطلب ١٥
زبيدة الخير ١٩
نائلة بنت الفرافصة الوفيه لزوجها في حياته ومماته ٢٣
أسماء بنت عميس ٢٧
موضي بنت أبي وطبان ٣١
المرأة المحاربة أم عمـارة ٣٥
أم المساكين ٣٩
سيدة القصور ٤٣
وهل تزني الحرة؟ !! ٤٧
عائشة التيمورية ٥٣
أم سعد ابنة النقيب الشهيد ٥٧
الخنساء ٥٩
الشيماء بنت الحارث السعدية ٦٥
أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ٦٩
عاتكة بنت زيد العابدة الزاهدة ٧٣
مؤمنة بنص القرآن ٧٧

أم خالد بنت خالد آخر الصحابيات وفاة ٨١
أميمة بنت صبيح أُم سيد الحفاظ ٨٣
نسيبة بنت الحارث الأنصارية الفقيهة الحافظة ٨٥
أميمة بنت خلف المهاجرة الصابرة ٨٧
أم سُليم الغُميصاء ٨٩
خديجة بنت خويلد ٩٣
عائشة بنت أبي بكر الصديق ٩٧
أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ١٠١
زينب بنت جحش ١٠٣
السيدة المحجبة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ١٠٧
صفية بنت حيي بن أخطب بنت نبي، وعمها نبي، وزوجة نبي ١٠٩
ميمونة بنت الحارث الهلالية آخر أمهات المؤمنين ١١١
الكريمة المهاجرة سودة بنت زمعة ١١٣
جويرية بنت الحارث المصطلقية ١١٥
رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٧
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٩
أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢١
أم أيمن بركة الحبشية ١٢٣
أسماء بنت أبي بكر ١٢٥
شهيدة البحر أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد ١٢٩
آمنة بنت وهب ١٣١
أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ١٣٣
أم الدرداء الصغرى ١٣٥
عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ١٣٧
حفصة بنت سيرين ١٣٩

حليمة السعدية ١٤١
أم الشهيدين فاطمة بنت أسد ١٤٣
مارية القبطية ١٤٥
ريحانة بنت زيد ١٤٩
أروى بنت عبد المطلب ١٥١
رابعة العدوية ١٥٣
معاذة بنت عبد الله ١٥٧
أم ورقة الأنصارية ١٥٩
الربيع بنت معوذ ١٦١
أم رومان بنت عامر ١٦٣
أم الأبطال كبشة بنت رافع ١٦٥
أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء ١٦٧
أول شهيدة سمية بنت خباط ١٦٩
أمامة بنت أبي العاص ١٧١
أم الدحداح الأنصارية ١٧٥
أم معبد الخزاعية ١٧٩
السيده المكرمه الصالحة نفيسة ١٨٣
آسيا امرأة فرعون ١٨٥
خولة بنت الازور من ذوات الخدور ليس كمثلها النسور ١٨٧
من صور الحب الرائعة ١٨٩
إيمان وبطولة نادرة ١٩٣
ماشطة ابنة فرعون ١٩٧
باحثة البادية: الأديبة ملك حفني ناصف ٢٠١

هذا الكتاب

هو عبارة عن صفحات مشرقة من حياة نساء رائـدات، سطّر التاريخ أعمالهــنَّ على مرّ الزمن، وبُعد الشّقة بينهن، حفرن بأعمالهنّ وأخذن مكانهنَّ في التاريخ وخلّد ذكرهنَّ بتلك الأعمال الرائدة، التي يعجز عن تحقيقها بعض رجالات هذا الزمان.

S.R. 14
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
ريال

ISBN 9953-75-254-0
9 789953 752549

دار و مكتبة الهلال للطباعة والنشر
جادة هادي نصرالله - بناية برج الضاحية - ملك دار ومكتبة الهلال
تلفون: 00 961 1 540891 فاكس: 00 961 1 540892
ص.ب.: 15 / 5003 الرمز البريدي 2010 - 1101 البسطا - بيروت لبنان
E-mail: info@darelhilal.com http:\\www.darelhilal.com